نقض شبهات القائلين بالمولد





محمد حامد الفقي
في مؤتمر رواد المنهج السلفي

الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال .. ومؤامرة اليهود الأشرار !!

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة التاسعة والثلاثون

العدد ٤٦٠ ربيع الآخر ١٤٣١ هـ

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

موقع المركز العام:

WWW.ELSONNA.COM

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١ـ في الداخل ٢٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعوديا أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

م. دار الجمهورية للصحافة

"السلام عليكم"

رسائل ربانية

عندما ظهرت أزمة رغيف العيش (الخبز) تطاحن الناس حينها، وأُزهقت فيها أرواح؛ مع وجود البديل وهي الحبوب التي يستطيع الناس صناعة الخبز بأيديهم منها، فكيف لو منع الله الحبوب ذاتها؟!

وعندما ظهرت أزمة الغاز (البوتاجاز)، وتقاتل الناس أيضًا، وقتل بعضهم بعضًا، مع وجود بدائل الوقود المختلفة، فكيف لو منع الله هذه البدائل، وكيف لو صارت مجاعة، أو أصاب الناس قحط؟! وأصبح الصراع من أجل البقاء فقط، واستمرار الحياة والنَّفَس؟ فهل تعلمنا من الإسلام أن يكون هناك صبر وإيثار، وإحسان وفضل، وتعاطف وتراحم، وتوادٍ كمثل الجسد الواحد؟! أم أن الذي تعلمناه ما هو إلا دروس دنيوية للحريصين على الحياة بأي شكل، ومهما كان الثمن؟!

والحقيقة المرة؛ إن ملخص هذه الدروس كان المثل السائر: إذا جاءك الطوفان ضع ولدك تحت رجليك!!



رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط
سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي
التنفيذ الفني
أحمد إبراهيم صوابي



البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية



"في هذا العدد"









الحمد لله الذي منَّ علينا بشرائع الهدى، وبعث فينا نبيه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيلهم واقتفى أثرهم..

وبعد:

فقد ذكرت في اللقاء السابق شبهة واحدة من الشُّبَه التي استدل بها القائلون بعمل المولد النبوي، وتناولتها بالرد، وفي هذا اللقاء أتابع الحديث في ذلك بذكر بعض شُبَهِهم الأخرى وأجيب عنها؛ حتى لا يبقى عند من يتحرى الحق ويقصده شك في بدعة المولد، وسأُتْبِع ذلك - إن شاء الله - بذكر بعض أقوال أئمة أهل العلم في حكم الموالد، فأقول وبالله التوفيق:

الشبهة الثانية

ولقد ذكرها السيوطي - رحمه الله- فقال: «وقد استخرج له - أي المولد - إمام الحفاظ أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني - أصلاً من السنة، واستخرجت له أصلاً ثانيًا، ثم ساق كلام ابن حجر ونصه: «أصل عمل المولد بدعة لم تُنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة، وإلا فلا، قال: وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو: ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجى موسى، فنحن نصومه شكرًا لله، [البخاري ٣٣٩٧، ومسلم ٢٧١٢]؛فيستفاد منه فعل الشكر على ما منَّ الله به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويُعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام، والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة ﷺ في ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه السلام في يوم عاشوراء». [الحاوي للفتاوى للسيوطي ١ / ١٩٦].

ويجاب عن هذه الشبهة بالأوجه التالية: أولاً: يُلاحظ من كلام الحافظ ابن حجر السابق أنه صرح بأن أصل عمل الموالد بدعة لم تُنقل عن أحد من

﴿ والسابقون الأولون أعرفُ بقدْر النبي ﷺ، وأعظم محبة له، ممن جاء بعدهم، ولو كان في الاحتفال بمولده خير؛ لكانوا أسبق الناس إليه ﴾

السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة، وهذا الكلام كاف جداً في بدعية الاحتفال بالمولد، وهو نص صريح منه.

ثم أقول: إن أمرًا لم يفعله خير هذه الأمة ولم يستحسنوه، أفيكون حسنًا عند من جاء بعدهم؟!!

والسابقون الأولون أعرفُ بقدْر النبي ﷺ، وأعظم محبة له ممن جاء بعدهم، ولو كان في الاحتفال بمولده خير؛ لكانوا أسبق الناس إليه.

ثانيًا: الاستدلال بحديث صوم يوم عاشوراء في عمل المولد، لا يستقيم مع قوله بأن عمل المولد بدعة؛ لأن النبي ﷺ صام يوم عاشوراء ورغّب فيه، بخلاف الاحتفال بمولده، فإنه ﷺ، لم يفعله، ولم يرغّب فيه، ولو كان فيه فضل لذكره لأمته ولحثّهم عليه، ولعمل به السلف الصالح، فتركهم له يدل على أنه من البدع التي لا يجوز فعلها.

ثالثًا: تخريج بدعة المولد على صيام يوم عاشوراء من التكلف المردود؛ لأن العبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على الرأي والاستحسان والابتداع.

﴿ الشبهة الثالثة ﴾

وهي للسيوطي - رحمه الله - وقد ذكرها بعد سياقه لكلام ابن حجر السابق ونصها: «وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر، وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ عقّ عن نفسه بعد النبوة».[البيهقي في السنن ٩ / ٣٠٠ رقم ١٩٧٥٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦ / ٥٠٢ برقم ٢٧٢٦) بلفظ «عق عن نفسه بعدما بُعِثَ نبيًا»] مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تُعاد مرة ثانية، فيُحمل ذلك على أن الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريعًا لأمته، كما كان يصلي على نفسه ﷺ، لذلك فيُستحب لنا أيضًا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القربات، وإظهار المسرات». [الحاوي للفتاوى للسيوطي ١ / ١٩٦].

ويجاب عن هذه الشبهة بأن الحديث الذي ذكره السيوطي لم يثبت عن النبي ﷺ، وهذه أقوال أهل العلم فيه:

قال ابن القيم بعد إيراده لهذا الحديث وعزوه إلى عبد الرزاق بن همام الصنعاني في مصنفه، قال عبد الرزاق: «إنما تركوا ابن محرر لهذا الحديث». [تحفة المودود بأحكام المولود ص٩٩].

وقال النووي: «وأما الحديث الذي ذكره في عق النبي ﷺ عن نفسه؛ فرواه البيهقي بإسناده عن عبد الله بن محرر بالحاء المهملة والراء المكررة عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ «عق عن نفسه بعد النبوة»، وهذا حديث باطل. قال البيهقي: هو حديث منكر، وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن قتادة، ومن وجه آخر عن أنس، وليس بشيء؛ فهو حديث باطل، وعبد الله بن محرر ضعيف متفق على ضعفه. قال الحفاظ: هو متروك، والله أعلم». [المجموع شرح المهذب للنووي ٨ / ٤٣١، ٤٣٢].

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة عبد الله بن المحرر: «قال أحمد: ترك الناس حديثه، وقال الجوزجاني: هالك، وقال الدارقطني وجماعة: متروك، وقال ابن حبان: كان من خيار عباد الله إلا

أن نحدث في دينه وأمره ﷺ ما ليس منه، فهذا ليس حبًا ولا فرحًا، بل إنه يستلزم اتهامه ﷺ بالتقصير في تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، والنصح للأمة !!

أنه كان يكذب ولا يعلم، ويقلب الأخبار ولا يفهم». ثم ذكر أن الحديث المذكور من بلاياه. [ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ٢١٤].

كما ذكر ابن حجر أن هذا الحديث لا يثبت، وقال: «أخرجه البزار وقال: تفرد به عبد الله وهو ضعيف». [فتح الباري ٩ / ٥٩٥].

الشبهة الرابعة

قالوا: إن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]، فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة، والنبي ﷺ أعظم الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ويجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

أولاً: لا شك أن الفرح به ﷺ مطلوب، ولا شك أنه ﷺ رحمة للعالمين، ولكن الاستدلال بهذه الآية على مشروعية المولد غير صحيح، وهو من قبيل التعسف في فهم النصوص، وحمل لها على ما لم يحمله عليه أحد من الصحابة ولا من سلف هذه الأمة الصالحين، ولم يذكر أحد من أئمة المفسرين أن المقصود بالفرح في الآية هو الاحتفال بمولده ﷺ، وهذه أقوالهم.

قال الإمام الحافظ ابن جرير - رحمه الله -: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين بك وبما أُنزل إليك من عند ربك: بفضل الله أيها الناس الذي تفضل به عليكم - وهو الإسلام - فبيَّنه لكم ودعاكم إليه، وبرحمته التي رحمكم بها؛ فأنزلها إليكم، فعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابٍ وبصَّركم بها معالمَ دينكم، وذلك القرآن، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها، وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل».

ثم ذكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مثله، وعن الضحاك أنه قال: فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام. [انظر تفسير الطبري ١١ / ٨٦، ٨٧].

كما ذكر البغوي في تفسيره (٢ / ٣٥٨) عن مجاهد وقتادة أن فضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن، وقال ابن عمر: فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلب.

وذهب الحافظ ابن كثير - رحمه الله - إلى أن المراد بفضل الله ورحمته هو: ما جاء من عند الله من دين الحق، وهو أولى ما يفرح به المؤمن. [تفسير ابن كثير ٢ / ٥٧٠].

وهو بهذا يشير إلى الآية السابقة على هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]. وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: «وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته: الإسلام والسنة». [اجتماع الجيوش الإسلامية ص٦].

والذي بُعِثَ بالإسلام وسنَّ السنة هو نبينا - عليه الصلاة والسلام -، وكان سببًا في هداية

«« إن الصلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام - من أفضل الأعمال، وهي قربة يتقرب بها العبد إلى رب الأرض والسماوات، وينال بها عند ربه أعلى الدرجات »»

الأمة بدعوته إلى ربه ومولاه، وجهاده في سبيل الله؛ حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وهذا أمر نسعد به ونفرح، ونشكر الله على ذلك باتباع هديه، والتمسك بسنته، والعضّ عليها بالنواجذ، والبعد عن البدع والمحدثات في الدين، أما أن يذهب البعض إلى أن الفرح به ﷺ معناه أن نُحْدِث في دينه وأمره ما ليس منه، فهذا ليس حبًّا ولا فرحًا، بل إنه يستلزم اتهامه ﷺ بالتقصير في تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، والنصح للأمة !!

والقائل باستحباب المولد مُستدرِكٌ على الشرع، مُدخلٌ فيه ما لم يأذن به الله، والله تعالى يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

»» الشبهة الخامسة ««

قالوا: إن المولد الشريف يبعث على الصلاة والسلام على النبي المطلوبين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، وما كان يبعث على المطلوب شرعًا فهو مطلوب شرعًا.

والجواب عن هذه الشبهة بالأوجه التالية:

أولاً: القائل بأن المولد يبعث على الصلاة والسلام على النبي – عليه الصلاة والسلام– ما عرف قدر نبيه ﷺ، وعنده من الجفاء ما عنده؛ وذلك لأنه ينتظر يومًا من أيام العام ليتذكر النبي – عليه الصلاة والسلام – فيقوم بالصلاة عليه!!

إن الصلاة على النبي – عليه الصلاة والسلام – من أفضل الأعمال، وهي قُرْبة يتقرب بها العبد إلى رب الأرض والسماوات، وينال بها عند ربه أعلى الدرجات، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا». [مسلم ٤٠٨].

وعن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني الملك فقال: يا محمد، إن ربك يقول: أما ترضى ما أحد من أمتك صلى عليك إلا صليت عليه عشر صلوات، ولا سلَّم عليك أحد من أمتك إلا رددت عليه عشر مرات، فقال: بلى». [الحاكم (٢ / ٤٥٦ رقم ٣٥٧٥) وصححه ووافقه الذهبي].

فهل يحق لمحب أن يعرض عن هذا الأجر، وينتظر يومًا في العام ليتذكره؟!!

ثانيًا: إن الناظر في الموالد، وما يحدث فيها، وما يقال فيها من مدائح؛ يجزم يقينًا أنها تبعث على إيذاء النبي ﷺ، ولا تبعث على الصلاة عليه؛ لما فيها من غلو وشطط وبدع لا ترضي الله تبارك وتعالى، ولا يرضى عنها نبينا ﷺ، فكيف يقال بعد هذا: إن الموالد تبعث على الصلاة والسلام عليه ﷺ ؟!!!

إن هذا من أشنع الظلم وقلب الحقائق، وفيه تمويه على العوام بحجة محبة الرسول – عليه الصلاة والسلام –.

والموضوع يحتاج إلى مزيد من التفصيل، أتركه – إن شاء الله – للحلقة القادمة. والحمد لله رب العالمين.



الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال .. ومؤامرة اليهود الأشرار!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار، مُقدِّر الأقدار، ومُصَرِّف الأمور على ما يشاءُ ويختار، ومُكوِّر الليل على النهار... وبعد:

فإن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع لما يحدث بيننا ومن حولنا للأمة الإسلامية، فالحملة تشتد من كل فج عميق على الإسلام والمسلمين، وإن ما يجري اليوم في القدس الشريف من عمليات تهويد متسارعة من أجل إتمام المهمة قبل أن يستيقظ المسلمون من غفلتهم.

فها هم اليهود يتمادون في وقاحتهم، واضعين أمامهم ونصب أعينهم الحلم الصهيوني بالقدس «أورشليم» كعاصمة أبدية للكيان الصهيوني في فلسطين، وأصبح هدم المسجد الأقصى وإقامة «هيكل سليمان» المزعوم على أنقاضه هو التجسيد العملي لتحويل ذلك الحلم إلى واقع ملموس، ناهيك عن عشرات الأنفاق التي يحفرونها تحت الأقصى، وأعمال الحفر والتجريف، ومد شبكات الكهرباء التي تنفَّذ في شبكة الأنفاق أسفل بلدة سِلْوَان الممتدة على طول ٦٠٠ متر، مرورًا بحي وادي حلوة، وصولاً إلى مائة متر جنوبي المسجد الأقصى.

والمسلمون هائمون، تائهون، نائمون، وها هو اليهودي نتنياهو، صاحب فكرة شبكة الأنفاق تحت الأقصى منذ ولايته الأولى، يفاجئ المسلمين يوم الأحد الموافق ٢١ / ٢ / ٢٠١٠م بقرار يزدري فيه المسلمين، باعتبار المسجد الإبراهيمي في الخليل، ومسجد بلال بن رباح في بيت لحم ضمن المناطق التراثية الإسرائيلية. وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

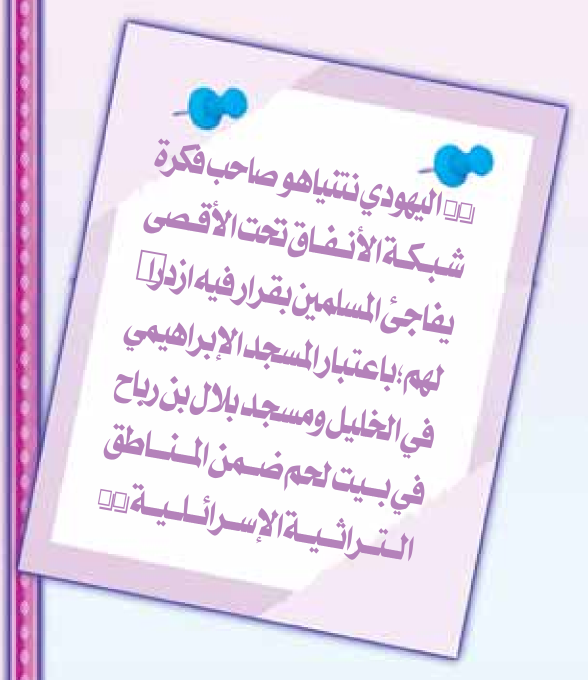
الحمق اليهودي اختبار للوقوف على رد فعل المسلمين

وهذا الإعلان من قِبل الحكومة اليهودية بضم الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل ومسجد بلال في بيت لحم إلى قائمة ما تسميه مواقع أثرية يهودية، ما هو إلاَّ اختبار للوقوف على رد فعل المسلمين المتوقع عندما يعمد الاحتلال منتصف الشهر المقبل إلى تهويد المسجد الأقصى المبارك، وهو اختبار حقيقي (جس نبض) للخطوات التالية التي يخططون لها، وهي تدمير الأقصى وإقامة هيكلهم المزعوم فوقه.

وقد رصدت حكومة نتنياهو ٤٠٠ مليون شيكل لصيانة

أماكن تراثية، وهذا المخطط الخبيث يأتي تأكيدًا على الأمر الواقع الذي فرضه الكيان اليهودي منذ أمد بعيد؛ فالمسجد الإبراهيمي في الخليل، ومنذ ارتكاب مذبحة باروج جولد شتاين في ١٥ رمضان ١٤١٤هـ، الموافق ٢٥ فبراير ١٩٩٤م، والتي راح ضحيتها عشرات المسلمين الساجدين لربهم. ومنذ ذلك الحين واليهود يسيطرون على المسجد سيطرة كاملة بعد أن قسموه إلى جزأين: أحدهما للمسلمين، والآخر لليهود.

بالإضافة إلى أنهم مستمرون في مصادرة الأراضي من حوله، ووضع الحواجز والعراقيل أمام المسلمين لمنعهم من الوصول إلى المسجد، وزادت وقاحتهم حتى وصلت إلى منع رفع الأذان في المسجد الإبراهيمي، ووضع البوابات الحديدية عليه، وأما مسجد بلال فهو يشكل جيبًا لليهود في مدينة بيت لحم!!



استهداف المسجد الأقصى.. ونبوءة حاخامات اليهود

إن موعد استهداف المسجد الأقصى يأتي وفقًا للنبوءات التي يتحدث عنها حاخامات اليهود، والمقرر لها يوم ١٦ مارس الحالي في ذروة الأعياد اليهودية، والتي عادة ما يواكبها اعتداءات من اليهود المتطرفين على المسجد الأقصى، وبحسب التأكيدات التي أعلنها الصهاينة أنه سيتم في هذا اليوم افتتاح أكبر كنيس يهودي، ويسمى معبد الخراب، على بعد ٥٠ مترًا فقط من المسجد الأقصى، ويوافق اليوم التالي موعد نبوءة بناء الهيكل الثالث المزعوم على أنقاض الأقصى، والمنسوبة لأحد حاخامات القرن الثامن عشر، والمعروف باسم جاؤون فيلنا!!

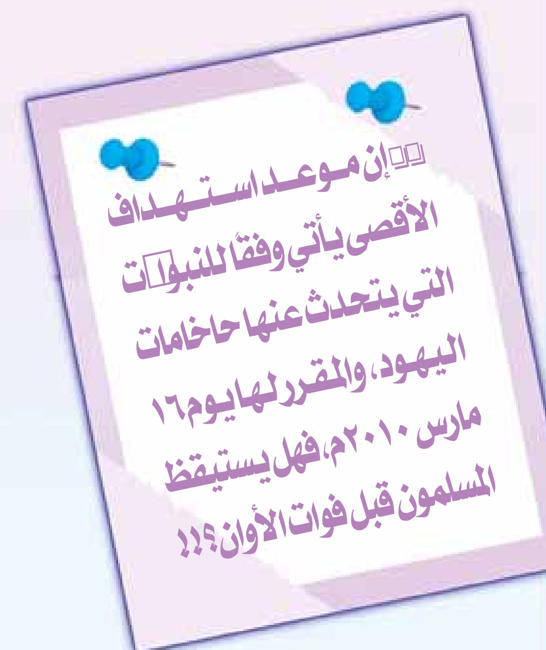
الحرم الإبراهيمي عبر التاريخ

وإذا كان اليهود يعتقدون بأن الحرم الإبراهيمي هو ملك أبدي لليهود، على اعتبار أن إبراهيم أبو اليهود - كما يزعمون -، فهذا يعطي للعرب نصيبًا في التركة؛ فإسماعيل أخو إسحاق، وهذا ما شهدت به التوراة، وقد جاء في سفر التكوين.. الإصحاح السابع عشر: «أما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا ذا أباركه، وأثمره..» وهذا يدل على أن التوراة تعترف بإسماعيل ابنًا لإبراهيم على غرار إسحاق، ويحق له ميراثًا أكثر مما يحق ليعقوب بن إسحاق، عليهم السلام، وكيف غاب عن بال حاخامات اليهود بأن إبراهيم عليه السلام أبٌ للعرب واليهود، وأنه كان مسلمًا حنيفًا، يحمل فكرًا ومنهاجًا شرعيًا للحياة موحى إليه من الرحمن الرحيم، قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وما جاء إبراهيم ولا إسماعيل ولا إسحاق ولا يعقوب -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- إلاَّ دعاةً هداةً إلى دين التوحيد الإلهي: الإسلام، فلم يكن في عقيدتهم القتل والتهجير والاستعمار، وإنما كانوا دعاة لدين الله؛ حتى إن ملوك الكنعانيين والفلسطينيين القدماء الذين شهدوا مقدمه إلى أرض كنعان، استقبلوه وأعطوه أرضًا، وقدم له «عفرون الحثي» المغارة ليتخذها مقبرة لعائلته.

ومع ذلك فقد تخلى اليهود الأوغاد عن مفاهيم وتعاليم إبراهيم الخليل عليه السلام، ونحن معشر المسلمين كنا وسنكون الورثة الشرعيين لمنهج إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؛ لأننا آمنا واتبعنا القرآن الذي أنزله الله على المصطفى ﷺ وآمنا بما أوحى الله إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤].

وكيف غاب عن ذهن اليهود وحاخاماتهم أن هذه الأرض يسكنها العرب منذ أكثر من ٦٠٠٠ عام مضت، وأنتم الذين سكنتم معهم في البلاد مئات السنين دون أن يؤذيكم أحد، إلاَّ ما حدث بينكم من



حروب طبيعية سرعان ما كانت تنتهي، أما إبادتكم الجماعية فلم تكن على أيدي العرب، وإنما كانت على أيدي الآشوريين والبابليين والرومان.. فمن هدم هيكلكم المزعوم ؟!

إنهم ليسوا العرب الكنعانيين ولا الفلسطينيين، وإننا بحكم القرآن الكريم، وما جاء به النبي ﷺ الورثة الشرعيون لفكر ومنهج وسلوك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

أما مسجد بلال بن رباح؛ فالتاريخ يحكي لنا أن بلال بن رباح الحبشي قام عام الفتح الإسلامي للقدس، عام ٦٣٦م، برفع الأذان من ذلك المكان، مكبرًا: الله أكبر، الله أكبر.. ومن يومها أقام المسلمون مسجدًا حمل اسم بلال رضي الله عنه وأرضاه.

وأما الادعاء بأن السيدة راحيل أم النبي يوسف عليه السلام مدفونة هناك، فهذا ادعاء مردود عليكم لأمرين:

الأول: أنه ما دام كل الآباء والأجداد تم دفنهم في مغارة الحرم الإبراهيمي، إذن ما الذي منعكم من دفنها رحمها الله في مقبرة الأجداد.

الأمر الثاني: أنه حتى لو كانت «راحيل.. أم يوسف عليه السلام» هي المدفونة في مسجد بلال ابن رباح؛ فهذا لا يعطيكم الحق في الاستيلاء على المكان، فراحيل تخص جميع الموحدين، وهي ملكٌ للجميع، وأهل التوحيد والعفة والطهارة أولى وأحق بإدارة قبرها الشريف.

قاضي قضاة فلسطين: القدس عاصمة لدولة فلسطين

وفي اتصال تليفوني مع قاضي قضاة فلسطين الدكتور تيسير التميمي، والذي أجرينا معه حوارًا نُشر في العدد الماضي على صفحات مجلة التوحيد، أكد لنا أن الحملة الإسرائيلية هذه المرة تستهدف المسجد الأقصى، وتهويد القدس بكاملها، وتحويل المسجد الأقصى إلى كنيس يهودي، ثم هدم الأقصى كاملاً في المرحلة التالية، وإقامة هيكلهم المزعوم عليه، وأن هذا الأمر تعلنه إسرائيل ليل نهار.

وقد قامت حكومة نتنياهو بتسخير كل الإمكانيات اللازمة لتحقيق هذا الهدف عن طريق دفع الجماعات اليهودية المتطرفة يوميًّا لاقتحام المسجد الأقصى، فما وجدتْ إلا تخاذلاً وضعفًا وهوانًا من أمة الإسلام، فشجَّعها ذلك على المضي في تنفيذ مؤامراتها الخبيثة.

وقد أكد الدكتور التميمي -خلال اتصالنا به- على تمسك الفلسطينيين بالقدس عاصمةً لدولتهم المنشودة، رافضًا الدعوات المتواترة لتدويل المدينة، قائلاً: إننا لا يمكن أن نقبل إلا أن تكون القدس عاصمة لدولتنا؛ فهي مدينة عربية إسلامية بشطريها الغربي والشرقي.

دور العلماء في حماية الأقصى الشريف

إننا نتوجه إلى العلماء الربانيين والمخلصين والغيورين من الأمة، والمدركين لخطورة الأمر، أن يقوموا بدورهم في توعية الأمة بالخطر الداهم الذي يتهددها، ويهدد المسجد الأقصى المبارك، من خلال توعية الناس بالخطر الذي يهدد المسجد الأقصى، وفضح مخططات اليهود أمام العالم الصامت، وتأييد حركات المقاومة في الأرض المباركة، ودعمها بكل أشكال الدعم المادي والمعنوي.

وعلى العلماء أيضًا ضرورة التعريف والتأكيد على إسلامية القضية، وأن فلسطين والأقصى ليستا ملكًا للفلسطينيين، وإن كانوا هم أصحاب الأرض، ولكن هذه المقدسات ملك للأمة الإسلامية كلها.

كما أنه يجب عليهم من خلال منابرهم فضح أساليب اليهود ومؤامراتهم؛ حتى يعي المسلمون

وغيرهم حقيقة المؤامرات اليهودية التي تحاك ضد أبناء فلسطين وترابها المقدس.

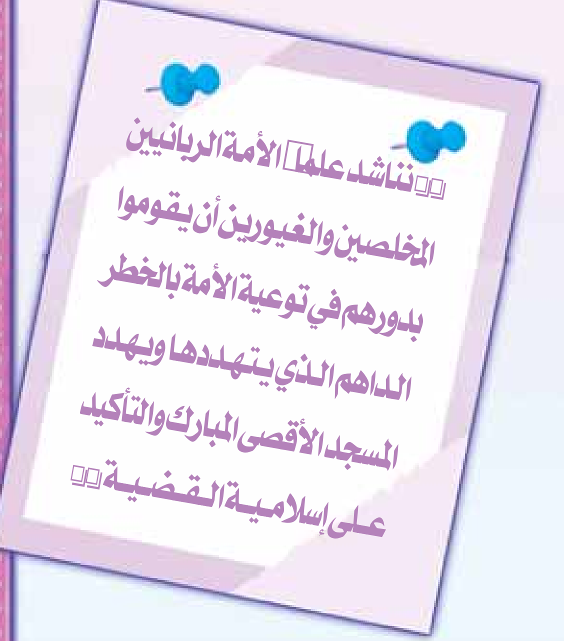
كما أنه يجب على وسائل الإعلام أن تقوم بدورها الكامل في نقل أحداث الواقع اليومي الفلسطيني، وتوثيق جرائم الاحتلال تجاه الأقصى، وعرضها على العالم كله بالطريقة التي تُؤتي أُكلها، فاليهود مع جرائمهم ومذابحهم تجاه أبناء فلسطين قد نجحوا في تسويق قضيتهم الظالمة التي لا تستند إلى أي حق شرعي أو قانوني، في مقابل ذلك فإن أصحاب الحق والقضية العادلة قد فشلوا في تسويق قضيتهم وإيصالها للعالم !!

دعوة المنظمات الإسلامية والدولية لوقف هذه الجرائم الصهيونية

وعبر صفحات مجلة التوحيد فإننا ندعو المنظمات الإسلامية، وعلى رأسها منظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية التي ستعقد قمتها خلال الأيام القليلة القادمة في ليبيا أن يفيقوا من غفلتهم قبل فوات الأوان، وأن يذكِّروا المجتمع الدولي الظالم بالعدوان الصهيوني على هذه المقدسات، وفضح خطط اليهود والصهاينة؛ وذلك من أجل إنقاذ الأقصى والقدس الشريف، كما نطالب شعوب الأمة الإسلامية بأن تتبوأ مقعدها وتقوم بدورها في الحفاظ على الصف العربي الإسلامي، ووقف هذا العدوان الصهيوني ضد أرضنا ومقدساتنا، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

الفصائل الفلسطينية وضرورة العودة إلى الألفة والتلاحم

إن ما يقع من أحداث على أرض فلسطين، وتسارعها حتى تكاد تلتهم الأخضر واليابس يجعلنا في هذه الظروف نذكِّر الفُرقاء المتنازعين في الفصائل بأن يتناسوا خلافاتهم، وأن يرجعوا عن غيهم، وليعلموا جيدًا أن من نِعَم الله العظيمة وآلائه الجميلة نعمة الأخوة التي أخبر عنها سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وجعلها رابطة؛ أساسها العقيدة، وعمادها الإيمان؛ إذ الإيمان قوة جاذبة تبعث أهلها على التقارب والتعاطف والتوادّ، ولا تنافر بين قلوب اجتمعت على إيمان بالله، وعمرها حبٌّ شديد لله ولرسوله ﷺ؛ إنه التآلف الذي أشار إليه عزّ اسمه بقوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، والذي شبَّه رسول الله ﷺ واقعه في هذا المثل النبويّ المشرق، فقال: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». [متفق عليه، واللفظ لمسلم].



وقد نهى عما هو أعظم من ذلك خطرًا وأشد ضررًا، وهو الاقتتال بين الإخوة في الدين؛ لأن هذا الاقتتال دليل صارخ على التنكر لهذه الأخوة والجحود بهذه النعمة، ولأنه فعل مشابه لفعل الكفار الذين يضربُ بعضهم رقاب بعض، فقال عليه الصلاة والسلام في خطبة يوم النحر بعد أن ذكّرهم بحرمة ذلك اليوم، وحرمة البلد الحرام والشهر الحرام، قال ﷺ: « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض». [متفق عليه]

وأخيرًا: فإننا نرفع أكفّ الضراعة سائلين المولى عز وجل أن يحمي الأقصى المبارك، وأن ينصر الإسلام والمسلمين على أعدائه أعداء الدين، وأن يمتعنا بصلاة قريبة قبل الممات في المسجد الأقصى المبارك بعد أن يطهِّره من دنس اليهود، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وأصحابه الغر الميامين.



إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٤٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦)﴾ [يس: ٣٣-٤٦].

لما ذكر الله تعالى أَنَّهُ أهلك القرون الأولى من الذين أشركوا، وأخبر أَنَّهم إليه راجعون ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ذكر دلائل وبراهين التوحيد، والقدرة على إحياء الموتى، فقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾؛ فالأرض قبل زراعتها تكون سوداء جرداء، لا زرع فيها ولا ماء، وما أن يحرثها الحارث، ويضع البذرة ويرويها، حتى تنبت البذرة، ويخرج عودها فوق الأرض أخضر بهيًّا، مختلفًا أُكُله، فمنه الحبوب كالقمح والشعير ونحوهما، ومنه الثمار والفواكه، كالنخيل والأعناب ونحوهما، وخصهما بالذكر تكريمًا وتشريفًا، فتحيى الأرض بعد موتها، وهذا مظهر من مظاهر التوحيد، ودليل من دلائل القدرة على إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١،٢٢].

وأما كون إحياء الأرض بعد موتها دليلاً على إحياء الموتى، فقد قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج:٥-٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ٩-١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال جل شأنه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٣-٥]، وقال جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى هو الذي ينبت الزرع، لا الفلاح الذي يحرث الأرض، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٧]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]،، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠،١١]، فالله تبارك وتعالى هو الذي ينبت لنا الزرع، وما على الإنسان إلا أن يتأمل في اللقمة التي يأكلها، ويبدي النظر فيها ويعيد، فيعلم أنه لا إله إلا الله، ولذلك أمر الله تعالى بالنظر في الطعام والتأمل فيه، فقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]، وقال سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، فإن الله تعالى لما امتن على خلقه بما ينبت لهم من الزرع والنخيل

والأعناب، قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾ فشُكْرُ الله تعالى على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى واجبٌ، ولاسيما عقب الطعام والشراب.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» [مسلم ٢٧٣٤].

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» [أبو داود ٤٠٢٣، وحسنه الألباني].

وقولُهُ تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ آية ثانية من آيات التوحيد، ودلائل القدرة على إحياء الموتى، وهي كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، أي: لعلكم تذكرون أنَّ الخالق أحد صمد، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣،٤]، ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وأنه سبحانه ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾ يعني أن النبات فيه الذكر والأنثى، كما في الحديث: عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هَؤُلاَءِ». فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا». قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلاَ تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الله شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى الله عز وجل» [مسلم ٢٣٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي من بني آدم خلق الله الزوجين الذكر والأنثى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩،٥٠]، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النجم: ٤٥،٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: ومما لا يعلمون خلق الله زوجين اثنين، وخَلْقُ الذكر والأنثى من أصل واحد، وفي مكان واحد، دليل على قدرة الله الدالة على وحدانيته، والدالة أيضًا على قدرته على إحياء الموتى، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: هذه آية ثالثة من آيات التوحيد والقدرة على البعث، ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي نُزيله ونكشفه عن مكانه، استُعير لإزالة الضوء السلخ الذي هو كشط الجلد وإزالته عن الحيوان المسلوخ، وفيه إشارة إلى أن النهار طارئ على الليل، كما السلخ طارئ على المذبوح.

ومعنى﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي لحدٍّ لها مؤقت، ينتهي إليه دورها اليومي والسنوي، ﴿ذَلِكَ﴾ الجري المتضمن للحكم والمصالح والمنافع، والمدهش نظام سيره وإحكامه بلا إخلال، ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور، ﴿الْعَلِيمِ﴾ المحيط علمًا بكل معلوم. ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ أي صيرنا له منازل ينزل كل ليلة في واحد منها، ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ

الْقَدِيمِ﴾ أي حتى إذا كان في آخر منازله، دق واستقوس، وصار كالعذق المقوس اليابس إذا حال عليه الحول. [محاسن التأويل(٧٢-٧٤ / ١٤).].

﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي كل من الشمس والقمر في فلك خاص به، فالشمس تجري لمستقرها في فلكها، والقمر يجري في فلكه، لا يدرك أحدهما الآخر، ولا يغلبه، وإنما ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩]، وهو يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة ﴿جُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]، وكوِّرا، ورُمي بهما في البحار، فتتأجج البحار نارًا موقدة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ يعني ومن دلائل التوحيد والقدرة جريان السفن في البحار، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٢،٣٣]، والمراد بالفلك المشحون: المملوء بمن فيه وما فيه، والمراد سفينة نوح عليه السلام، لما قال له ربه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

والذرية المذكورة في قوله تعالى: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال بعض المفسرين: الذرية تطلق على الآباء والأجداد كما تطلق على الأبناء. والمعنى وآية لهم أنا حملنا آباءهم الأولين الذين هم ذريتهم في الفلك المشحون مع نوح عليه السلام ؛ لأن كل الناس الموجودين على الأرض الآن إنما هم ذرية هذه القلة القليلة المؤمنة التي أنجاها الله تعالى مع نوح عليه السلام في السفينة، ولو أن هذه القلة القليلة هلكت مع الهالكين ما بقي لبني آدم ذرية ولا نسل حتى اليوم، ولكن الله سبحانه وتعالى لما أغرق الكافرين من أهل الأرض أنجى نوحًا ومن آمن معه ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود]، فكان من هؤلاء القلة القليلة الذين نجوا في الفلك المشحون هذه الذرية، وهذا النسل، إلى يوم الدين، ولذلك يقال لنوح عليه السلام أنه أبو البشر الثاني، وأبو البشر الأول آدم عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾ من مثل هذا الفلك﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ وهي أن الناس بعد نوح عليه السلام صاروا يصنعون السفن، وكثرت السفن بعد نوح عليه السلام، فأول سفينة صُنعت في التاريخ صُنعت بيد نوح عليه السلام، ثم أبقى الله تعالى جنس هذه السفينة في الناس ليجعلها لهم تذكرة، أي ليذكروا بجنس السفينة، السفينةَ الأولى التي نجَّى الله فيها نوحًا، وأهلك مَن لم يركب معه بالطوفان.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ هذه السفن في البحار تغدو وتروح ليل نهار، إنما تمشي بحفظ الله تعالى، ولو شاء الله لأغرقها وما فيها ومن فيها. ﴿فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي مُغيث ﴿وَلاَ هُمْ يُنْقَذُونَ﴾. وما المانع يا رب من الغرق؟ قال تعالى: ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا﴾ رحمتنا هي المانعة من إغراقهم، ﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ ليستوفوا آجالهم التي كتب الله تبارك وتعالى لهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وهذه الطائرات في الجو أيضًا محفوظة برحمة الله، ولو تخلى الله تبارك وتعالى عنها لوقعت الطائرات، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].

والبقية في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



أحكام الوضوء







الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فسوف نبدأ - بعون الله تعالى - من أول هذا العدد بالحديث عن الوضوء، وما يتعلق به من أحكام، فهو مقدمة للصلاة، والإسلام يولي عناية كبيرة بطهارة الظاهر والباطن، وقد امتدح الله تعالى المتطهرين فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

أولاً: التعريف

١- في اللغة: الوُضُوء في اللغة بضم الواو: هو اسم للفعل، وأما بفتح الواو فيُطلق على الماء الذي يُتوضأ به، وهو مشتق من الوضاءة، أي: الحسن والنظافة. [لسان العرب ١ / ٢٣٣].

٢- في الاصطلاح: هو طهارة مائية تتعلق بأعضاء مخصوصة على وجه مخصوص. [حاشية العدوي على شرح الخرشي ١ / ١٣٠].

ثانيًا: مشروعيته: الوضوء مشروع بالكتاب والسنة والإجماع

١- فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

٢- ومن السنة: ما ثبت من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُقبل صلاة بغير طهور». [مسلم ٥٥٧].

٣- الإجماع: نقل أكثر أهل العلم الإجماع على مشروعية الوضوء. [انظر الدر المختار ١ / ١٠١، والتاج والإكليل ١ / ٤٢٠، وشرح منتهى الإرادات ٣ / ٣٨٦].

مسألة: هل الوضوء من الشرائع القديمة؟

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوضوء من الشرائع القديمة، وأنه كان في تلك الشرائع، وأنه ليس مختصًا بأمة محمد ﷺ، واحتجوا بما ثبت عند البخاري في صحيحه في قصة إبراهيم عليه السلام لما مر على الجبار ومعه سارة، وفيها: «أنها لما دخلت على الجبار توضأت وصلَّت ودعت الله عز وجل». [البخاري ٢٢١٧، ومسلم ٦٢٩٤].

وكذلك ما ورد في قصة جريج الراهب حين اتُّهِمَ بالزنا، وفيها: «أنه توضأ وصلى، ثم قال للغلام: مَن أبوك ؟ فقال: الراعي». [البخاري ٢٤٨٢، ومسلم ٦٦٧٢].

وقالوا: إن الذي اختصت بها الأمة هو الكيفية المخصوصة، أو أثر الوضوء وهو بياض محله يوم القيامة المسمى بالغرة والتحجيل. [الموسوعة الفقهية الكويتية ٤٣ / ٣١٧].

ثالثًا: فضل الوضوء

للوضوء فضل عظيم، بيَّنه رسول الله ﷺ في عدة أحاديث نذكر منها:

١- الوضوء شطر الإيمان:



عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان». [مسلم ٥٥٦].

٢- الوضوء مكفِّر للذنوب:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في وصفه لوضوء النبي ﷺ أنه توضأ ثم قال: «إني رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: من توضأ هكذا غُفر له ما تقدم من ذنبه». [مسلم ٥٦٦].

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت أظفاره». [مسلم ٦٠١].

٣- الوضوء علامة أهل الإيمان يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل». [البخاري ١٣٦، ومسلم ٦٠٣].

٤- الوضوء مفتاح الجنة:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ، أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». وفي رواية أخرى: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله». [مسلم ٥٧٦]

رابعًا: حكم الوضوء

يختلف حكم الوضوء بحسب الأحوال على ما يلي:

١- الوجوب: هناك عبادات يجب لها الوضوء وهي:

أ- الصلاة: فقد اتفق أهل العلم على أن الوضوء واجب على المُحْدث إذا أراد القيام للصلاة فرضًا كان أو نفلاً؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ الآية؛ ولأن الوضوء شرط لصحة الصلاة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» [البخاري ٦٩٥٤].

وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوضوء فرض لسجدة التلاوة؛ باعتبار أنه يُشترط لسجدة التلاوة ما يُشترط للصلاة.

ب- الطواف:

يجب الوضوء للطواف حول الكعبة فرضًا كان أو نفلاً، وهو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة، وكذا الحنفية. [الفقه الإسلامي وأدلته. د. وهبة الزحيلي ١ / ٣٦١]. إلا أنهم قالوا بأنه واجب وليس بفرض على قاعدتهم في التفريق بين الفرض والواجب(١).

والجمهور على عدم الفرق، وقد استدلوا على وجوب الوضوء للطواف بحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الطواف حول البيت مثل الصلاة، إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلمن إلا بخير». [الترمذي ٩٦٠، وصححه الألباني].

جـ- مس المصحف:

اختلف الفقهاء في وجوب الوضوء لمس المصحف، فذهب جمهور الفقهاء كالأئمة الأربعة وغيرهم إلى وجوب الوضوء عند مسّ المصحف، وذهب داود الظاهري وبعض أهل العلم إلى أنه لا يحرم على المُحْدث أن يمس المصحف، وقد استدل الجمهور على صحة مذهبهم بالكتاب والسنة والرأي.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الآية.

وجه الدلالة: أن الضمير في قوله ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ يعود على القرآن؛ لأن الآيات سبقته للحديث عنه، والمطهر هو الذي أتى بالوضوء والغسل من الجنابة بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ الآية. [الشرح الممتع ١ / ٢٦١].

ومن السنة: ما جاء في كتاب عمرو بن حزم الذي كتبه النبي ﷺ إلى أهل اليمن، وفيه: «ألا يمس القرآن إلا طاهر». [أخرجه مالك في الموطأ (١ / ١٩٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٢٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٧٨٠].

وقد تكلم في صحة هذا الحديث كثير من أهل الحديث، كما نقل الحافظ في تلخيص الحبير، إلا أن جماعة من الأئمة قد صححوا الحديث من حيث الشهرة، فقال ابن عبد البر في التمهيد: «هذا كتاب مشهور عند أهل السير، معروف عند أهل العلم معرفةً يُستغنى بشهرتها عن الإسناد؛ لأنه أشبه المتواتر في مجيئه؛ لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة». [التمهيد].

وجه الدلالة من الحديث

أن الطاهر: هو المتطهر طهارة حسية من الحدث؛ لأن المؤمن طهارته المعنوية كاملة، والمصحف لا يقرأه غالبًا إلا المؤمنون، فلما قال: «إلا طاهر»، علمنا أن المراد قدر زائد عن الطهارة المعنوية، وهو الطهارة من الحدث.

ومن النظر الصحيح: أنه ليس في الوجود كلام أشرف من كلام الله، فإذا أوجب الطهارة للطواف حول بيته، فالطهارة لتلاوة كتابه الذي تكلم به من باب أولى. [الشرح الممتع ١ / ٣٦٢].

وقد رد من قال بعدم وجوب الوضوء لمس المصحف على أدلة الجمهور بما لا يتسع المجال لذكره، خاصة وأن مذهب الجمهور أقوى وأرجح فنقتصر على أدلتهم.

وقد رخص بعض أهل العلم كالإمام مالك في مس

المصحف بدون وضوء للمعلم والمتعلم؛ إذا خشيا النسيان، أو طال البقاء في محل التعليم مع مشقة الوضوء، ويمكن أن يرخص كذلك في مس المصحف بدون وضوء لكل من لا يستطيع المحافظة على وضوئه ويجد لديه مشقة في الوضوء.

٢- الاستحباب أو الندب:

وضع أهل العلم ضابطًا للوضوء المندوب، فقالوا: هو كل وضوء ليس شرطًا في صحة ما يُفعل به، بل من كمالات ما يفعل به. [حاشية الصاوي على الشرح الصغير ١ / ٩٠].

أ- عند القيام لكل صلاة:

يندب تجديد الوضوء لكل صلاة، حتى وإن كان على طهارة. وهذا محل اتفاق بين الأئمة ولم يخالف في ذلك إلا ابن حزم الظاهري.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.. الآية: وظاهرها يقتضي الوضوء على كل قائم إلى الصلاة، محدثًا كان أو غيره، وإنما معناه: إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم محدثون، وإنما أضمر وأنتم محدثون كراهة أن يفتتح آية الطهارة بذكر الحدث.

ولقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء، ومع كل وضوء بسواك». [أحمد ٧٥١٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٣١٨].

ب- عند النوم:

استحب جمهور العلماء لمن أراد النوم أن يتوضأ قبل نومه؛ لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل...» [متفق عليه].

جـ- عند ذكر الله:

اتفق علماء المذاهب الأربعة على استحباب الوضوء عند ذكر الله تعالى من دعاء، وقراءة قرآن، وتسبيح ودراسة العلم الشرعي، وغير ذلك، وكان الإمام مالك رحمه الله يتوضأ ويتطهر عند إملاء الحديث عن رسول الله ﷺ؛ تعظيمًا له.

د- عند الأذان والإقامة:

يستحب لمن أراد أن يؤذن للصلاة أو يقيم الصلاة أن يكون على طهارة كاملة من الحدث الأصغر والأكبر، فقد اتفق علماء المذاهب الأربعة على كراهية الأذان مع وجود الحدث، فإن الوضوء للأذان والإقامة كان هدي مؤذني الرسول ﷺ.

هـ- عند الأكل والشرب والنوم ومعاودة الوطء للجنب:

يستحب للجنب أن يتوضأ إذا أراد أن يأكل أو يشرب أو ينام؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا كان جنبًا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ». [مسلم ٧٢٦].

ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ». [مسلم ٧٣٣].

ومعنى أراد أن يعود: أي إلى الوطء مرة أخرى. وقد قيل: إن الحكمة في ذلك هو تخفيف الحدث.

وقال البعض: لما كانت الجنابة منافية لهيئة الملائكة، كان المرضي في حق المؤمن أن لا يسترسل في حوائجه من النوم والأكل والجماع مع الجنابة، فإذا تعذرت الطهارة الكبرى لا ينبغي أن يدع الطهارة الصغرى.

و- عند الغضب:

يُستحب للمرء إذا أصابه الغضب أن يتوضأ، وهذا محل اتفاق عند الأئمة الأربعة وغيرهم، واستدلوا لذلك بقوله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ». [أبو داود ٤٧٨٦، وضعفه الألباني].

ز- بعد حمل الميت:

يندب لمن حمل الميت أن يتوضأ بعد حمله؛ لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من غسل ميتًا فليغتسل، ومن حمله فليتوضأ». [أحمد ٩٨٦٢، وصححه الألباني].

ح- قبل الاغتسال:

يستحب لمن أراد الاغتسال، سواء كان الغسل فرضًا أو نفلاً أن يتوضأ في أول الغسل؛ لما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ، كما يتوضأ لصلاته» [متفق عليه].

وللحديث بقية في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) فائدة: يفرق الحنفية بين الفرض والواجب خلافًا للجمهور، فيقولون: إن الفرض ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه، مثل وجوب الوضوء للصلاة؛ لأنه ثبت بدليل قطعي الثبوت وهو القرآن الكريم، وحكم الفرض اللزوم علمًا أي حصول العلم القطعي بثبوته وتصديقًا بالقلب (أي اعتقاد حقيقته)، وعملاً باليد، ويكفر جاحده ويفسق تاركه بلا عذر، فمن أنكر وجوب الوضوء للصلاة فهو كافر عندهم. والواجب ما ثبت بدليل ظني فيه شبهة كصدقة الفطر والأضحية؛ لأنهما ثبت حكمهما بدليل ظني وهو أحاديث الآحاد وحكمه اللزوم عملاً كالفرض لا علمًا، ولذلك لا يكفر جاحده عندهم ويفسق تاركه بلا تأويل.



التوحيد حق الله على العبيد

الحلقة الثانية

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله المتفرد بالجلال والعظمة، مسدي الفضل والنعمة، الحي القيوم، الذي بأمره السماوات والأرض تقوم، والصلاة والسلام على خير الورى، سيد ولد آدم نبي الهدى والرحمة، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... وبعد:

فقد بدأنا الحلقة الماضية الحديث عن توحيد الله تبارك وتعالى، وذلك بشرح حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، وقوله ﷺ: «يا معاذ، إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...» الحديث. [متفق عليه].

وبيَّنَّا مَن خرَّجه من أصحاب الكُتب التسعة، ثم تكلمنا عن أن توحيد الله تعالى هو أول الأمر وآخره، وبعد ذلك كان الكلام على أن التوحيد حق الله على العبيد، وسقنا الحديث الثاني في الباب الذي عقده الإمام البخاري في أول كتاب التوحيد بعنوان: «باب دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى»، وهو حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان رديف رسول الله ﷺ، فقال له النبي صلوات الله وسلامه عليه: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا...» الحديث. [متفق عليه].

ثم كان الكلام بعد ذلك عن السبيل إلى معرفة التوحيد، وأنه الوحي من كتاب وسنة، وليس عن طريق كلام المتكلمين وفلسفة المتفلسفين.

وفي هذا العدد نكمل الحديث عن التوحيد، فنقول بتوفيق الله جل وعلا:

أنواع التوحيد

توحيد الله تعالى يتضمن ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية:

وهو توحيد الله تعالى في أفعاله، وبيان أن الله تعالى خالق كل شيء وحده لا شريك له، وأنه ليس للعالِم صانعان متكافئان في الصفات

والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام، وطائفة من الصوفية، قال شارح الطحاوية - رحمه الله -: وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وأشهر من عُرف تجاهله وادعاؤه إنكار الصانع فرعونُ، وقد كان مستيقنًا به في الباطن، قال له موسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال الله تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ولما تجاهَل تجاهُلَ العارف فقال لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ قال له موسى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤- ٢٨]، وكذا ما كان من أمر نمرود عندما حاجَّ إبراهيم في ربه، لما قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ولا شك أن هذا النوع من التوحيد مهم، وقد جاءت آيات القرآن الكريم المبرهنة عليه في غاية الوضوح؛ قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٦٤].

أورد ابن كثير في تفسيره عن أبي الضحى قال: لما نزلت: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال المشركون: إن كان هكذا فليأتنا بآية، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

والله عز وجل بيَّن أن العوالم العلوية والسفلية لا بد لها من مُوجِد، وهذا مستقر في الفِطَر السليمة والعقول المستقيمة، فإن هذه العوالم لم تخلق نفسها، ولم تُخْلَق من غير خالق، قال رب العزة تبارك وتعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٦].

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾، كاد قلبي يطير». [متفق عليه، واللفظ للبخاري].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: هذا المقام في إثبات الربوبية والألوهية، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: أوُجِدوا من غير موجِد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي أوجدهم، وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا. ثم قال تبارك وتعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ﴾ أي: أهم خلقوا السماوات والأرض؟!! وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك.

وقد سجل القرآن الكريم مناظرات بين الرسل وأقوامهم في ذلك التوحيد؛ فمنها أن أعداء الله لما قالوا لرسله على سبيل المكابرة لما جاءوهم بالبينات ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. قال صاحب معارج القبول: وهذا يحتمل شيئين:

أحدهما: أفي وجود الله تعالى شك؟! فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطَر السليمة، ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب، وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء، فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم، ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى طريق معرفته، فقالوا: ﴿فَاطِرِ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سابق.

والمعنى الثاني في قولهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أي: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؛ وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالخالق، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم، والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين: لا، أي: لا شك فيه.

ومن المناظرات التي سجَّلها القرآن أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قال ابن كثير في تفسيره: هذا الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل؛ نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقال مجاهد: مَلَكَ الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران؛ فالمؤمنان سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمروذ وبختنصر، والله أعلم.

وهو قد حاج إبراهيم في ربه أي في وجود ربه، وذلك أنه أنكر أن يكون ثَمَّ إله غيره، وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبُّره، وطول مدته في الملك، وذلك أنه يقال: إنه مكث في الملك أربعمائة سنة؛ ولهذا قال: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾، وكأنه طلب من إبراهيم دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه، فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، أي: إنما الدليل على حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بد من موجد أوجدها، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له، وعند ذلك قال المحاجّ - وهو النمروذ -: «أنا أحيي وأميت». قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أني أوتى بالرجلين قد استحقا القتل، فآمر بقتل أحدهما فيُقتل، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يُقْتَلُ، فذلك معنى الإحياء والإماتة. قال ابن كثير:

والظاهر - والله أعلم - أنه ما أراد هذا؛ لأنه ليس جوابًا لما قال إبراهيم، ولا في معناه؛ لأنه غير مانع لوجود الصانع، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام؛ عنادًا ومكابرة، ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أي: إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الكون في خلق ذراته وتسخير كواكبه وحركاته.. وهو يأتي بالشمس من المشرق، فإن كنت إلهًا كما تدعي، فأت بها من المغرب، فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بُهت، أي أُخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يلهمهم حجة ولا برهانًا، بل حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد.

ومن المناظرات التي سجَّلها القرآن أيضًا ما جاء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٣- ٢٨].

يذكر تعالى ما كان بين موسى وفرعون من المقاولة والمحاجّة والمناظرة، وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية، وذلك أن فرعون - قبَّحه الله- أظهر جحد الخالق تبارك وتعالى، وزعم أنه الإله، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[النازعات: ٢٣-٢٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وهو في هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مربوب، وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

قال صاحب معارج القبول: ومناظرة الرسل لأعداء الله في هذا الباب يطول ذكرها، ومقامات نبينا محمد ﷺ مع هذه الأمة أشهر من أن تُذكر، فمن شاء فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته، إلا أن أمته لم يكن فيهم من يجحد الخالق، بل هم

مقرون به وبربوبيته، غير أنهم لم يقدروه حق قدره، بل عبدوا معه غيره، ولهذا قال الله تعالى في شأنهم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. إلى غير ذلك من الآيات.

ومع ذلك، فلا بد من معرفة الآيات التي فيها مناقشة الملحدين من الزنادقة والكافرين لإقامة الحجة عليهم.

النوع الثاني من أنواع التوحيد:
توحيد الأسماء والصفات:

وهي التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، وآمن بها جميع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

ومعنى هذا على الإجمال؛ أن المؤمنين يؤمنون أن الله تعالى موصوف بكل صفة وَصَفَ بها نفسه سبحانه؛ فهو حي قيوم، سميع بصير، عليم حكيم، حليم، رحيم ودود، رحمن، عليٌ مجيد، حميد شهيد، متكلم محيط بكل شيء علمًا، مستوٍ على عرشه.. إلخ الصفات التي وصف بها رب العزة تبارك وتعالى نفسه، أو وصفه بها رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

فأما علوه على خلقه واستواؤه على عرشه؛ فإن فِرَق الإسلام تجادل فيه بين نافٍ ومعطلٍ ومؤول محرِّف للكلم عن مواضعه.

قال صاحب معارج القبول:

الأحد الفرد القدير الأزلي
الصمد البر المهيمن العلي
علو قهرٍ وعلو الشان
جلَّ عن الأضداد والأعوان
كذا له العلو والفوقية
على عباده بلا كيفية

ثم تكلم عن اسم الله «العلي» فقال: فكل معاني العلو ثابتة له: «علو القهر» ؛ فلا مغالب له ولا منازع، بل كل شيء تحت سلطان قهره، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، وقال عز وجل: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وكذا له سبحانه وتعالى: «علو الشأن» ؛ فقد تعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

وتعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير، وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه والمجير.

وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفء والنظير

وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسِّنَة والنوم والتعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان، وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء، وتعالى في كمال حكمته وحمده عن الخلق عبثًا، وعن ترك الخلق سدًى بلا أمر ولا نهي، ولا بعث ولا جزاء.

وتعالى في كمال عدله أن يظلم أحدًا مثقال ذرة أو أن يهضمه شيئًا من حسناته، وتعالى في كمال غناه عن أن يُطْعَمَ أو يُرزَق، أو أن يفتقر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال جل ذكره: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وقال جل ثناؤه: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وقال تباركت أسماؤه: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والحديث موصول إن شاء الله تعالى في العدد القادم بمشيئة الله تعالى.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢١٩١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَسْبِ الْحَجَّامِ، وَعَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَعَنْ عَسْبِ الْفَحْلِ» . ن(٤٦٧٧)، ش(٢١٢٧١)، حم(٧٩١٦)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٩٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ». د(٥١٢٨)، ت(٢٨٢٢)، جه (٣٧٤٥)، خد(٢٥٦)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٩٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «رَسُولُ الرَّجُلِ إِلَى الرَّجُلِ إِذْنُهُ». د(٥١٨٩)، حب(٥٨١١)، خد(١٠٧٦)، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢١٩٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «يُلَقَّى عِيسَى حُجَّتَهُ، فَلَقَاهُ اللَّهُ فِي قَوْلِه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَقَّاهُ اللَّهُ ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآيَةَ كُلَّهَا». ت (٣٠٦٢)، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢١٩٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ». د(١٥٤٤)، حم(٧٩٩٢، ٨١١٢، ٨٤٢٩)، خد(٦٧٨)، جه(٣٨٤٢)، ن(٥٤٦١)، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢١٩٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - يَعْنِي عِيسَى عليه السلام - نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلَامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلاَّ الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ». د(٤٣٢٤)، ش(٣٨٥٢٢)، حم(٩٠١٧، ٩٣٤٩)، حب(٦٨٢١)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢١٩٧- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ». د(٤٨١١)، حم(٧٨٧٩، ٧٩٥٩، ٨٨٠١)، ت(١٩٥٤)، حب(٣٤٠٧)، خد(٢١٨)، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢١٩٨- عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلاةِ؟ قَالَ: أَتَشَهَّدُ، وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لاَ أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلاَ دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ». د(٧٩٢)، جه(٩١٠، ٣٨٤٧)، حم(١٥٤٦٨)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٩٩- عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي بَكْرٍ، قَالاَ: «رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ بَيْنَ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَنَحْنُ عِنْدَ رَاحِلَتِهِ وَهِيَ خُطْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي خَطَبَ بِمِنًى». د(١٩٥٢)، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٢٠٠- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ بِمِنًى وَنَزَّلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ، فَقَالَ: «لِيَنْزِلْ الْمُهَاجِرُونَ هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى مَيْمَنَةِ الْقِبْلَةِ، وَالأَنْصَارُ هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى مَيْسَرَةِ الْقِبْلَةِ، ثُمَّ لِيَنْزِلِ النَّاسُ حَوْلَهُمْ». د(١٩٥١)، حم(١٦١٥٢، ٢٢٦٦٥)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٠١- عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهَا بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُ اللَّهُ إِيَّاهَا فَلاَ تَدَعُوهُ». ن(٢١٦٤)، حم(٢٢٦٠١) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٠٢- عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ: «أَنَّهُ سَمِعَ مُنَادِيَ النَّبِيِّ ﷺ يَعْنِي فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ فِي السَّفَرِ، يَقُولُ: «حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ، صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ». ن (٦٥٤) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٠٣- عَنْ رِبْعِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، «أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتٍ، فَقَالَ: أَأَلِجُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِخَادِمِهِ: اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَدَخَلَ». د(٥١٧٧)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٠٤- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ بَاسِطًا كَفَّيْهِ». د(١١٧٢)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٠٥- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَبِي حُبَيْشٍ اسْتُحِيضَتْ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا فَلَمْ تُصَلِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ، لِتَجْلِسْ فِي مِرْكَنٍ فَإِذَا رَأَتْ صُفْرَةً فَوْقَ الْمَاءِ فَلْتَغْتَسِلْ لِلظُّهْرِ وَالْعَصْرِ غُسْلاً وَاحِدًا، وَتَغْتَسِلْ لِلْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ غُسْلاً وَاحِدًا، وَتَغْتَسِلُ لِلْفَجْرِ غُسْلاً وَاحِدًا، وَتَتَوَضَّأُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ». د(٢٩٦)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢٢٠٦- عن أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها، قالت: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: فِي نِسْوَةٍ، فَقَالَ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا بِأَنْفُسِنَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِعْنَا، قَالَ سُفْيَانُ: تَعْنِي: صَافِحْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ». ت(١٥٩٧)، حم(٢٦٤٦٥)، جه(٢٨٧٤)، ن(٤١٩٠)، عب(٩٨٢٦)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٠٧- عَنْ بُسْرَةَ بِنْتِ صَفْوَانَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلاَ يُصَلِّ حَتَّى يَتَوَضَّأَ». ت(٨٢)، حم(٢٦٧٥٠)، ن(٤٤٧)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٠٨- عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ ابْنِ جَحْشٍ فَهَلَكَ عَنْهَا، وَكَانَ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَزَوَّجَهَا النَّجَاشِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: وَهِيَ عِنْدَهُمْ». د(٢٠٨٦)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٠٩- عن صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:، يَقُولُ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لا يَمُوتَ إِلا بِالْمَدِينَةِ، فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنَّهُ مَنْ يَمُتْ بِهَا، تَشْفَعْ لَهُ، وَتَشْهَدْ لَهُ» حب (٣٧٤٢)، وهذا حديث على شرط مسلم.

٢٢١٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: بِكَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوتِرُ؟ قَالَتْ: «كَانَ يُوتِرُ بِأَرْبَعٍ وَثَلاَثٍ، وَسِتٍّ وَثَلاَثٍ، وَثَمَانٍ وَثَلاَثٍ، وَعَشْرٍ وَثَلاَثٍ، وَلَمْ يَكُنْ يُوتِرُ بِأَنْقَصَ مِنْ سَبْعٍ وَلا بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثَ عَشْرَةَ» قَالَ أَبُو دَاوُد: زَادَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ: «وَلَمْ يَكُنْ يُوتِرُ بِرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ»، قُلْتُ: مَا يُوتِرُ، قَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ يَدَعُ ذَلِكَ» وَلَمْ يَذْكُرْ أَحْمَدُ: «وَسِتٍّ وَثَلاَثٍ». د(١٣٦٢)، حم(٢٤٦٣٢)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢٢١١- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «أُمِرَتْ بَرِيرَةُ، أَنْ تَعْتَدَّ بِثَلاَثِ حِيَضٍ». جه(٢٠٧٧)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢١٢- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا ذَكَرَتْ عِدَّةً مِنْ مَسَاكِينَ قَالَ أَبُو دَاوُد: وقَالَ غَيْرُهُ: أَوْ عِدَّةً مِنْ صَدَقَةٍ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطِي وَلاَ تُحْصِي فَيُحْصَى عَلَيْكِ». د(١٧٠٠)، حم(٢٤٢٥١)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢١٣- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَشْكُو زَوْجَهَا، فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلاَمُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾». ن(٣٤٩٠)، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٢١٤- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «مُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: كَانَ يَفْعَلُهُ». ت(١٩)، ن(٤٦)، حب(١٤٤٣) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢١٥- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي أُفُقِ السَّمَاءِ تَرَكَ الْعَمَلَ وَإِنْ كَانَ فِي صَلاَةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنْ مُطِرَ، قَالَ: اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا». د(٥٠٩٩)، حم(٢٥٠٤١)، حب(١٠٠٦)، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٢١٦- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَانِ قِطْرِيَّانِ غَلِيظَانِ، فَكَانَ إِذَا قَعَدَ فَعَرِقَ ثَقُلاَ عَلَيْهِ، فَقَدِمَ بَزٌّ مِنَ الشَّامِ لِفُلاَنٍ الْيَهُودِيِّ، فَقُلْتُ: لَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ، فَاشْتَرَيْتَ مِنْهُ ثَوْبَيْنِ إِلَى الْمَيْسَرَةِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ مَا يُرِيدُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِمَالِي، أَوْ بِدَرَاهِمِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبَ قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ، وَآدَاهُمْ لِلأَمَانَةِ». ت (١٢١٣)، ن(٤٦٢٨)، وهذا حديث صحيح على شرط البخاري.

٢٢١٧- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلاَمِ وَالتَّأْمِينِ». جه (٨٥٦)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢٢١٨- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا خُيِّرَ عَمَّارٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا». حم(٢٤٢٩٨)، ت(٣٧٩٩) وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢٢١٩- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ، لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلاَنٍ يَقُولُ، وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا». د(٤٧٨٨)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٢٠- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَلِّمُ فِي كُلِّ ثِنْتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ». جه (١١٧٧)، د(١٣٣٦)، ع(٤٧٨٧) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

مؤتمر رائد المنهج السلفي بمصر والعالم الإسلامي

الشيـخ/ محمد حامد الفقي

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم!

المكان: المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.

الزمان: الأحد ١٤ من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ٢٨ / ٢ / ٢٠١٠م.

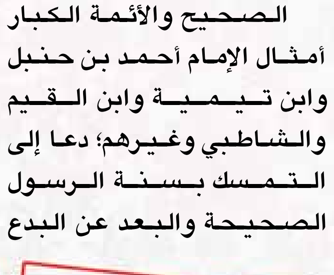
المناسبة: انعقاد المؤتمر الأول عن سيرة واحد من الرجال الذين جاهدوا لنشر دعوة التوحيد الخالص في مصر والعالم العربي والإسلامي، وأسهموا في القضاء على البدع ونشر صحيح الدين من كتاب الله رب العالمين، وسنة نبيه الأمين ﷺ.

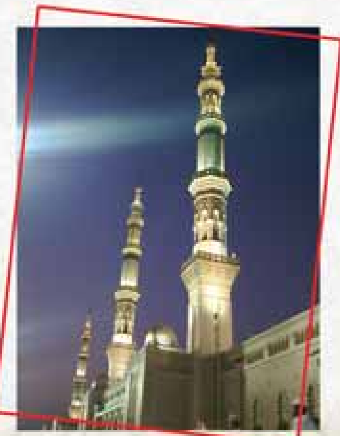
عُقد المؤتمر تحت رئاسة فضيلة الدكتور / عبد الله شاكر، الرئيس العام، ونائبه الدكتور عبد العظيم بدوي، ومقرر المؤتمر وصاحب الجهد في عقده الشيخ أسامة سليمان.

الشيخ في سطور

مولده ونشأته: ولد الشيخ محمد حامد الفقي بقرية نكلا العنب بمركز شبراخيت مديرية البحيرة في سنة ١٣١٠ هـ الموافق ١٨٩٢م، ونشأ في كنف والدين كريمين؛ فوالده الشيخ أحمد عبده الفقي تلقى تعليمه بالأزهر، ولكنه لم يكمله لظروف اضطرته لذلك. أما والدته فقد كانت تحفظ القرآن وتجيد القراءة والكتابة، وبين هذين الوالدين نما وترعرع وحفظ القرآن، وسنّه وقتذاك اثنا عشر عامًا.

بدأ محمد حامد الفقي دراسته بالأزهر في عام ١٣٢٢هـ -١٩٠٤م، ولما أمعن الشيخ في دراسة الحديث على الوجه الصحيح ومطالعة كتب السلف


الصحيح والأئمة الكبار أمثال الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم والشاطبي وغيرهم؛ دعا إلى التمسك بسنة الرسول الصحيحة والبعد عن البدع



إعداد / التحرير

عن السنة الصحيحة، وانتشار البدع والخرافات والمخالفات. فالتف حوله نفر من إخوانه وزملائه وأحبابه واتخذوه شيخًا لهم وكان سنه عندها ثمانية عشر عامًا سنة ١٩١٠م بعد أن أمضى ست سنوات من دراسته بالأزهر.

تخرج في الأزهر الشريف عام ١٩١٧م، دعا زملاءه أن يشاركوه ويساعدوه في نشر الدعوة للسنة الصحيحة والتحذير من البدع. وحدثت ثورة ١٩١٩م، وكان له موقف فيها بأن خروج الاحتلال لا يكون بالمظاهرات التي تخرج فيها النساء متبرجات والرجال، ولا تحرر فيها عقيدة الولاء والبراء لله ولرسوله. ولكن

بالرجوع لسنة الرسول ﷺ وترك ونبذ البدع. وظل بعد ذلك يدعو عدة أعوام حتى تهيأت الظروف وتم إشهار ثمرة هذا المجهود بإنشاء جماعة أنصار السنة المحمدية.

ظل رحمه الله مجاهدًا في سبيل نشر الدعوة السلفية الصحيحة على منهج القرآن والسنة، يدعو في المساجد وحلق العلم، ويكتب في المجلات والدوريات الهادفة، ويؤلف الكتب، ويحقق التراث، ويشارك في الندوات والمحاضرات، حتى توفي فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨ هـ الموافق ١٦ يناير ١٩٥٩م على إثر عملية جراحية أجراها بمستشفى العجوزة، وبعد أن نجحت العملية أصيب بنزيف حاد، وعندما اقترب أجله طلب ماءً للوضوء ثم صلى ركعتي الفجر بسورة الرعد كلها. وبعد ذلك طلب من إخوانه أن ينقل إلى دار الجماعة حيث توفي بها. رحمه الله رحمة واسعة.

ملخص لوقائع المؤتمر

ناقش المؤتمر عدة محاور في شخصية الشيخ المؤسس محمد حامد الفقي رحمه الله عن حياته وعصره، وجهوده في دراسة الفقه، وجهوده في تقرير عقيدة السلف الصالح، ثم جهوده في دراسة علم الحديث، وأخيرًا جهوده في الدعوة إلى الله.

وسوف نتناول بإيجاز على صفحات المجلة هذا المؤتمر من خلال الأبحاث التي أُلقيت فيه.

الافتتاحية..كلمة الرئيس العام

استفتح الدكتور عبد الله شاكر، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، المؤتمر بكلمة موجزة، أكد فيها على ثوابت دعوة التوحيد الخالص الذي أُسست عليه الجماعة منذ مؤسسها الأول رحمه الله رحمة واسعة.

وأشار في عجالة سريعة في بداية المؤتمر إلى أن جماعة أنصار السنة المحمدية قامت على منهج ووسطية أهل السنة والجماعة، بعيدًا عن الغلو والحزبية، نابذة للعصبية، محبة للاتحاد والألفة، تجتمع على محبة المؤمنين ونصيحتهم، رافضة للغلو الذميم، وقد نأت بنفسها عن أعمال التخريب والتفجير، وسيئ البدع والأخلاق، ودعا إلى تذكر سير علماء ورجال هذه الجماعة والتأسي بهم، واقتفاء أثرهم في الدعوة إلى الله على بصيرة وهدًى.

مجلي الشيخ في زمن سطوة البدع والخرافات

ثم تحدث الشيخ فتحي أمين عثمان ملخصًا سيرة ومسيرة الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- ؛ فذكر أن الشيخ -رحمه الله- قد شبَّ في زمن كثرت فيه البدع والخرافات في كل مناحي الحياة: عقيدة وعبادةً وسلوكًا وخُلقًا، فطفق الشيخ يحاول الإصلاح، ونشر العقيدة الصافية، وإحياء السنن، وإماتة البدع، فأنشأ مجلة الإصلاح في مكة المكرمة، ثم سعى لتأسيس وإصدار مجلة الهدي النبوي؛ لتكون منارة للتوحيد والسنة، تنشر الحق والهدى في زمن جفَّت فيه منابع الخير والرشاد.

وتميز الشيخ بأنه كان محبًا ومتعاونًا مع من سبقوه في هذا الطريق، ويعدهم من أساتذته كالشيخ محمد عبد الحليم الرمالي، والشيخ محمد مدني - رحم الله الجميع -، فكان الشيخ يجالسهم في منزل الشيخ الفوزان في القاهرة لمناقشة حال الأمة، وكيف تعود إلى منهج الحق والرشاد، وكيف يدعو الناس إلى دعوة التوحيد.

ونوّه الشيخ فتحي عثمان إلى فضيلة من فضائل الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله - وهي أنه كان مجانبًا للتعصب للمذاهب الفقهية، رافضًا التحجر على أقوال أئمتها دون نظر في الدليل الشرعي من قول الحق جل وعلا، وقول الصادق رسول الله ﷺ فكان يدعو إلى الاقتداء بما صح من الحديث والسنة.

الشيخ محمد حامد الفقي فقيهًا

ثم استهل الدكتور عبد العظيم بدوي، نائب الرئيس العام كلمته في المؤتمر بالحديث عن النصيحة وأهميتها وآدابها، مذكرًا بحديث تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم». [مسلم: ٤٩٢٣].

ثم بَيَّن الدكتور عبد العظيم بدوي أن النصيحة للعلماء المخلصين واجبة في حياتهم وبعد رحيلهم، ويتجلى ذلك في حبهم ومودتهم وموالاتهم ومناصرتهم على الحق والخير، ونشر علومهم، وإبراز مناقبهم؛ حتى يكونوا قدوة للأمة وعلمائها وشبابه، ولذلك يجب على المسلمين أن يعرفوا حق علمائهم وفضلهم ويقدروهم حق قدرهم.

وقد أشاد الدكتور عبد العظيم بدوي بجهود مشكورة قام بها الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة وصحيح السنة، وكذا بجهوده التي قام بها في محاربة البدع والخرافات والشركيات.

وذكر أنه مع أن موضوعات العقيدة والاتباع وترك البدع والخرافات كانت الأبرز والأكثر

في إنتاج الشيخ العلمي، إلا أنه كانت له جهود طيبة في الفقه، فقد قام -رحمه الله- بنشر العديد من المقالات والبحوث الفقهية في «شرح أحاديث الأحكام»، واستمر في نشر هذه المقالات بداية من ربيع الآخر ١٣٥٨هـ، حتى ربيع الآخر ١٣٦٧هـ، ووصل في شرحه إلى كتاب الطهارة، ولعل توقفه عند ذلك وعدم إكماله كان بسبب انشغاله بقضايا التوحيد الكبرى، وهدم البدع والخرافات.

ثم ذكر الدكتور عبد العظيم بدوي أن منهج الشيخ الفقهي لا يخرج عن الأصول المقررة التي اتفقت عليها الأمة سلفًا وخلفًا من الأصول الفقهية التي ثبتت عن الأئمة كاتباع ما صح من السنة، وترك أقوال الرجال متى ما خالفتها، ووجوب اتباع السنة متى ما صحت وترك ما سواها، وأن كل من أحب رسول الله ﷺ الحب الصادق يتبعه بصدق ولا يبتدع في الدين، وإذا استقام لا يضيره غلو الجاهلين، ولا تقصير الفاسقين.

ونوَّه الدكتور عبد العظيم بدوي إلى أن منهج الشيخ ودعوته كانت تتمثل في أن العبد لن يجد لذة في قلبه وانشراح صدره، ولن يجد اطمئنان نفسه وراحة ضميره إلا في اتباع كتاب الله تعالى، فهو خير الهدي، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو تنزيل الحكيم الحميد جل في علاه، ثم التمسك بهدي الحبيب رسول الله ﷺ، والسير على هدي الصحابة والتابعين لهم بإحسان وخاصة القرون المفضلة على لسان الحبيب النبي ﷺ، وترك المحدثات والبدع والخرافات.

وذكر الدكتور عبد العظيم بدوي تعريفًا مبسطًا لمن يستحق أن يوصف بأنه فقيه، فلا يوصف به إلا من كان عالمًا بالكتاب والسنة، عاملاً بهما، ولن يكون إمامًا في الفقه إلا من كان إمامًا في القرآن والسنة ؛ ولذلك يستحق الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- أن يوصف بأنه كان فقيهًا؛ فلم يكن معسرًا ولا مضيِّقًا، ولم يكن متساهلاً، بل كان وسطًا على منهج السلف في فهم المسائل الفقهية واستنباط الأحكام.

وختم الدكتور عبد العظيم بدوي كلمته بذكر بعض الأمثلة الدالة على مدى فقه الشيخ حامد الفقي لأدلة الأحكام في المسائل التي نشرها الشيخ في مجلة الهدي النبوي في كتاب الطهارة.

الشيخ حامد الفقي وجهوده المباركة في الدعوة إلى الله

ثم تحدث الشيخ معاوية محمد هيكل في منحى جديد من مناحي حياة الشيخ محمد حامد الفقي المباركة، ويتمثل ذلك في جهود الشيخ في الدعوة إلى الله.

ونوَّه إلى أن الشيخ -رحمه الله- قد جعل الدعوة إلى الله تعالى شغله الشاغل، قاصدًا هداية الناس لدين الله تبارك وتعالى، فارتاد كل طريق وسلك كل سبيل يستطيعه من أجل الدعوة إلى دين الله ونشر صحيح سنة رسول الله ﷺ، فدعا إلى نبذ الخرافات والشركيات، والتمسك بالعقيدة الصحيحة والسنة الثابتة.

وأشار الشيخ معاوية إلى أن الشيخ محمد حامد الفقي لجأ إلى بعض الأساليب الجديدة في الدعوة في زمانه؛ فقد كان يذهب إلى المقاهي، وكانت في ذلك الزمن يرتادها علية القوم من كبار الموظفين والكُتاب والمثقفين والتجار -ولم يكن حالها كاليوم؛ حيث لا يأتيها الآن إلا البطالون- فكان يذهب إليها ويدعوهم إلى الله تعالى.

وكان الشيخ الفقي خطيبًا مفوهًا صحيح الأسلوب، دقيق العبارة، صادق المنطق، استطاع أن يصل إلى قلوب المصلين، ممن كانوا يستمعون إليه ويصلون معه في مسجد الهدارة بعابدين، وكان رحمه الله شديد التأثير في المصلين، واستطاع أن يكوِّن منهم لبنة لجيل يحمل العلم الصحيح ويبلّغه للناس.

ثم جاءت الخطوة المهمة والعمل الجليل في حياة شيخنا المبارك -رحمه الله- والتي تمثلت في تأسيسه لجماعة أنصار المحمدية في فترة تاريخية امتلأت الأرض جهلاً، وعمَّ الشرك أطنابها، وانتشرت الخرافة، وكان التقليد سيد الموقف، فكان تأسيس هذه الجماعة عملاً عظيمًا في إحياء الأمة من الرقاد، وبعثها من الغفلة، وكانت الجماعة تعتمد منهج أهل السنة والجماعة، عقيدة وعبادة، قولاً وعملاً، سلوكًا وأخلاقًا.

واستطاع الشيخ بالتعاون مع مجموعة من أصحابه الذين كانوا يحملون نفس الفكرة أن يرتفع بذلك البناء الشامخ، وأن يضع هذا الأساس القوي، وكان من هؤلاء الفضلاء الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي، والأستاذ محمد أحمد القاضي، والشيخ عبد الوهاب العيسوي، رحمهم الله.

وكان من الأسباب التي دفعت الشيخ لتأسيس هذه الجماعة: أنه رحمه الله كان معيَّنًا من قبل وزارة الأوقاف إمامًا وخطيبًا لمسجد الهدارة بعابدين، وكان ذلك المسجد قريبًا من القصر الملكي، وكانت خطبة الشيخ تعتمد على علم راسخ،

وحجة قوية، وإقناع واتباع، مليئة بالحماسة والعلم الرشيد، مما ألهب حماس الجماهير، فسعى به الوشاة إلى أن صدر أمر بفصله من العمل.

وبعدها أخذ الشيخ يفكر في إنشاء كيان خاص به، وبمن معه، يجمع من يحملون همّ الدعوة على بصيرة، فكانت جماعة أنصار السنة بعابدين، وعم خيرها وانتشرت دعوتها، وكثر رجالها، حتى افتُتح للجماعة فروع كثيرة ومساجد بالآلاف، واستطاعت دعوة الشيخ أن تصل إلى جمهور عريض من المسلمين في أرض مصر، فكان لها تأثير مهم في إحياء السنن، وإماتة البدع، وترك الشرك والخرافات، والتزام العقيدة الصحيحة، وصحيح السنة.

ثم اهتمت الجماعة بإنشاء المعاهد الدينية التابعة لها إدارةً وإشرافًا، وإنشاء الكتاتيب، ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ اللغة العربية.

وكثيرًا ما تطلع الشيخ لإصدار صحيفة دينية علمية تدعو على بصيرة وهدى ترفع صوت المصلين، وتتعاون على نشر الخير والحق والصلاح.

فكانت مجلة الإصلاح التي صدرت في مكة المكرمة في منتصف شهر صفر ١٣٤٧هـ.

واستمرت مجلة الإصلاح لمدة عامين، ثم رأى الشيخ أن مصر أحق به وبجهده، بعدما ظهر الضعف والوهن في صفوف أنصار السنة في مصر، فعاد إليها وأنشأ مجلة الهدي النبوي لتدعو إلى الاعتماد على الكتاب والسنة وتحري الحق والدعوة إليه، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للمسلمين، والتصدي للبدع والخرافات.

دعوة الشيخ وبعض مجالاته

وأشار الشيخ معاوية إلى أن الشيخ -رحمه الله- كان متصلاً بالناس، قريبًا من المجتمع، فلم يكن منعزلاً ولا انطوائيًا، بل كان ينتقل بين الناس في أفراحهم وأحزانهم، وصلواتهم وتجمعاتهم، يدعوهم ويرشدهم، ويبصرهم بما ينفعهم.

فلقد كان الشيخ يلقي الدروس في مساجد الجماعة وغيرها، وكان له درس بعد صلاة الجمعة وخطبتها، ثم درس بين المغرب والعشاء يوميًّا، وكان الشيخ في أي مسجد دخله أو أي تجمع حضره قام ووعظ وأرشد، بالإضافة للكتابات في مجلة الهدي النبوي كان يؤلف ويجمع ويكتب، ويحقق كتب السلف وينشرها، خاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، وابن القيم.

تحرك الشيخ ووصل صوته للناس عن طريق محاضراته في الإذاعة الأهلية، واشترك في القوافل الدعوية، والزيارات الفردية، وشارك في رحلات الحج والعمرة، وقام بعقد فصول دراسية بالجماعة لتعليم المسلمين وتثقيفهم، وكان يعقد فصولاً مسائية للطلاب لشرح ما يصعب عليهم فهمه.

كما كان للشيخ - رحمه الله - اتصالاته الواسعة بالعلماء ليس في الداخل فحسب، بل وفي الخارج، فقد لقي الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ محمد بن إبراهيم وغيرها، وكانت له علاقات جيدة ولقاءات بشيخي الأزهر الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد المجيد سليم، رحم الله الجميع.

كما ساهم الشيخ محمد حامد الفقي في الدعوة إلى الجهاد ضد المحتلين، ومقاومة الاحتلال الإنجليزي لمصر، والوقوف صفًا واحدًا ضد الأطماع الأجنبية في ديار المسلمين.

وقد كان للشيخ جهود مشكورة في دعوة النساء وتعليمهن؛ نظرًا لما للمرأة من دور حيوي ومتميز في تربية الأولاد ورفع عماد الأسرة؛ فكان الشيخ يذهب إلى التجمعات النسائية، أو يرسل من ينيبه إليهن لتعليمهن وإرشادهن، وتكوين الأسرة السليمة المعتقد، نقية التوحيد، الحريصة على السنة، رحم الله الشيخ محمد حامد الفقي رحمة واسعة.

الشيخ محمد حامد الفقي ودوره في نشر عقيدة السلف

تحت هذا العنوان تحدث الشيخ أسامة سليمان عن دعوة الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- إلى العقيدة السلفية، تلك العقيدةُ الصحيحةُ التي هي أساس هذا الدِّين، وكل ما يُبنى على غير هذا الأساس فمآلهُ الهدم والانهيار، ولذلك نرى اهتمام النَّبيِّ ﷺ بإرساء هذه العقيدة وترسيخها في قلوب أصحابه طيلة عمره، وذلك من أجل بناء الرجال على قاعدة صلبة وأساس متين.

ولذلك ظلَّ القرآن في مكَّةَ يتنزل ثلاثة عشر عامًا يتحدثُ عن قضية واحدة لا تتغير، وهي قضية العقيدة والتوحيد لله تعالى، والعبودية له، ومن أجلها ولأهميتها كان النَّبي ﷺ في مكَّة لا يدعو إلا إليها، ويُربِّي أصحابه عليها.

وترجع أهميَّة دراسة عقيدة السَّلف الصالح إلى أهميَّة تبيين العقيدة الصافية، وضرورة العمل الجاد في سبيل العودة بالنَّاس إليها، وتخليصهم من ضلالات الفرق واختلاف الجماعات، وهي أوَّل ما يجب على الدعاة الدعوة إليه.

وإن الانحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياع؛ لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل النافع، والفرد بلا عقيدة صحيحة، يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة؛ حتى تضيق عليه حياته، كما هو الواقع في كثير من الأفراد الذين فقدوا هداية العقيدة الصحيحة.

والمجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو مجتمع بهيمي يفقد كل مقومات الحياة السعيدة؛ وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيراً ما تقوده إلى الدمار، كما هو مشاهد في المجتمعات الكافرة.

وعرض الشيخ أسامة سليمان لشيء من كلام الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- في أبرز موضوعات علم التوحيد، فنقل كلاماً للشيخ عن توحيد الربوبية، وعن منهج السلف في باب الأسماء والصفات، وأن الشيخ محمد حامد الفقي قد التزم بمنهج خير القرون التي جاءت بعد رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة والجماعة.

كما ذكر بعض النقول من تراث الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- في قضايا توحيد العبادة، ومعاني الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وشيئاً من حديثه عن الغيبيات والإمامة وغيرها من أصول الدين، ومكانة الصحابة الأجلاء والرد على الصوفية والمتكلمين. فرحم الله الشيخ رحمة واسعة.

الشيخ محمد الفقي ومنهجه في التفسير

تحت هذا العنوان تناول المهندس محمد عاطف التاجوري منهج الشيخ محمد حامد الفقي في التفسير.

فبدأ حديثه بأن الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- قد تأثر بمنهج الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله-؛ حيث إنه كان من المعاصرين له، وقد قام الشيخ محمد حامد الفقي بتدريس مادة التفسير في المدرسة التي أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا لإعداد طلبة العلم والعلماء المجتهدين.

وكان الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله -، يدون تفسير الشيخ محمد عبده في الجامع الأزهر، ثم يحرره ويعرضه على الشيخ محمد عبده؛ فإذا أقره قام بنشره في مجلة المنار، وسمي تفسيره هذا بتفسير المنار نسبة لمجلة المنار التي كان يصدرها.

ومما لا شك فيه أن الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- قد تأثر في بدايات حياته بمنهج الشيخ محمد عبده العقلي؛ وبعد وفاة شيخه هداه الله للسنة ومنهج السلف الصالح، ثم قام الشيخ محمد رشيد بإكمال التفسير المسمى تفسير المنار، حتى أواخر سورة يوسف، ثم أكمل الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- تفسير المنار بعد وفاة الشيخ محمد رشيد رضا بداية من سورة الرعد، حتى أول سورة الإسراء، ثم توفي الشيخ حامد رحمه الله، وتابع الشيخ عبد الرحمن الوكيل التفسير عبر مجلة الهدي النبوي.

منهج الشيخ في التفسير

هذا وقد اختلف منهج الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- عن منهج الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير القرآن؛ إذ كان الشيخ محمد رشيد رضا يقع في بعض التأويلات العقلية، أو يرد بعض الأحاديث النبوية، أو قد يخالف منهج السلف في بعض العقليات والنقليات أحياناً، غفر الله له.

ولكن منهج الشيخ محمد حامد الفقي في التفسير اعتمد على منهج السلف الصالح، وكان ينشر التفسير في مجلة الهدي النبوي، حتى أتم تفسير مائة آية من أول سورة البقرة.

وكان الشيخ رحمه الله يفسر القرآن بما جاء في القرآن، فإن لم يكن فبما صح من السنة المطهرة، فإن لم يجد ففي أقوال صحابة رسول الله ﷺ، ثم بأقوال السلف الصالح من أئمة التفسير، ثم باللغة العربية.

ولقد ابتعد الشيخ في تفسيره عن التأويلات الفاسدة، وأثبت العقيدة الصحيحة، وحذر من الإسرائيليات ولم يأخذ بها، واهتم بالتفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية، كما دعا إلى الاجتهاد وترك التقليد.

ثم اختتم المؤتمر بكلمة موجزة للشيخ علي حشيش تحدث فيها عن دعوة الشيخ محمد حامد الفقي المباركة، وجهوده التي مازلنا نجني ثمارها في الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونشر العقيدة وترك البدع والخرافات، ودعا إلى الاقتداء بسلف الأمة وعلمائها الأجلاء في نصح الخلق والحدب عليهم ودعوتهم برفق على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ حتى نجني ثمار التناصح والتواد، فيتحاب المؤمنون ويتآلفون ويتعاونون على البر والتقوى.

رحم الله تعالى الشيخ حامد الفقي رائداً من رواد المنهج السلفي في مصر والعالم الإسلامي في العصر الحديث، وجمعنا به في جنته ودار كرامته.



من جنايات الابتداع على المسلمين
نظرية ختم الولاية عند الصوفية

أعدها/ فتحي أمين عثمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعده:

فإن البدعة شر مستطير ذاقت منه الأمة الويلات على مر العصور، ومن هذه البدع التي تمس العقيدة «نظرية ختم الولاية عند الصوفية».

أصل الولاية: المحبة والقرب، وضدها العداوة التي تستلزم البغض والبعد.

وعلى قدر التزام الإنسان المسلم - العبد - بأداء التكاليف تكون ولايته، وأكمل الأولياء في أمة محمد ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأكمل الأولياء قاطبة هم الأنبياء، وأفضلهم الرسل، وأفضل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أولو العزم، وأفضلهم جميعًا نبينا محمد ﷺ، فهو زعيمهم إذا وفدوا، وخطيبهم إذا تكلموا، وهو صاحب الحوض المورود وصاحب اللواء المعقود.

ولكن الصوفية خرجت بلفظ الولاية من مفهومه الشرعي إلى معنى رمزي اصطلاحي يتميز به عن المعنى العام المشار إليه فيما سبق، فصار حالهم بدعيًا لا شرعيًا؛ إذ تفوه من ترمذ رجل يدعى «الحكيم الترمذي» بنظرية نسجت خيوطها عناكب الصوفية فقتلت بها ذبابًا كثيرًا من الناس، وقد قال عنه السلمي: «نفوه من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب «ختم الولاية»(١).

وتتلخص أسطورة خاتم الولاية في أنه كما أن للأنبياء خاتمًا هو أفضلهم، فإن للأولياء خاتمًا هو أفضلهم، ودرجته أكبر من درجة السابقين، ولما سُئل عما إذا كان خاتم الأولياء أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قال: هم أفضل منه في الدرجة وهو أفضل منهم في العمل.

وليس على هذا القول دليل من الشرع كما يقول الدكتور محمد السيد الجليند في كتابه الماتع «من قضايا التصوف».

بل إن لفظ خاتم الأولياء هو لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي، ثم تلقفه منه ابن عربي.

وبعد أن صاغ الحكيم الترمذي نظريته وصلت الفكرة إلى ابن عربي فجعل منها مذهبًا خاصًا في التصوف صاغه في ثوب رمزي من المصطلحات التي ينفرد بها في الفتوحات والفصوص.

ويفضّل ابن عربي وأمثاله خاتم الأولياء على خاتم النبيين بأمرين:

أولهما: أخذه من الله مباشرة، أما خاتم النبيين فيأخذ عن الله بواسطة المَلَك.

الأمر الآخر: هو أنه على يديه تم الدين.

هذا على حين يدعي بعضهم أن الخاتم للأولياء أفضل من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستمدون علمهم من جهته.

وأن الرسل والأولياء عند ابن عربي لا يرون علم وحدة الوجود إلا من مشكاة خاتم الأولياء، وواضح من فكرة ابن عربي من تفضيله الولي على النبي أن هناك التقاءً بينها وبين النظرية الإسماعيلية الباطنية القائلة أن «القائم خير من النبي»(٢).

ادعاها كل شيخ أنه الخاتم

ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: «إن هذا الخاتم للأولياء صار مرتبة موهومة، لا حقيقة لها، وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف، وقد ادعاها غير واحد، ولم يدعها إلا من كلامه من الباطل ما لم تقله الأمم السابقة».

ويقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل في كتابه «هذه هي الصوفية»: «وحق ما يقوله شيخ الإسلام وعهدنا به الصدق والأمانة البالغة في النقل، فابن عربي يزعم في الفتوحات المكية أنه رأى رؤيا، ثم يقول: ثم عبرت الرؤيا بأن ختام الولاية بي».

وادعتها التيجانية لشيخها أحمد، قال أحد أتباعه الفصل السادس والثلاثون في ذكر فضل شيخنا، وبيان أنه خاتم الأولياء وإمام الصديقين مدد الأقطاب والأغوات. وهذا الكلام يجرنا إلى سؤال يلح علينا في هذا المجال، والسؤال هو: أيصح الجزم بولاية أحد من الناس؟

والجواب هنا للشيخ أبي الوفاء درويش في كتابه «صيحة الحق» حيث يقول رحمه الله:

أما الذين وعدهم الله الحسنى، وأما الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة فاجزم بولايتهم ولا سبيل عليك، وأما من عداهم فما يدريك ماذا كانت عاقبة أمرهم، وواجبك أن تحسن الظن بهم، وأن ترجو لهم الخير، وبرهان ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه، عن ما كان من أم العلاء يوم موت عثمان بن مظعون وكان ينزل في ديارهم، حيث قالت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه ؟ فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله ؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي. [البخاري: ١١٨٦].



هذه صحابية تشهد لصحابي جليل هاجر مع رسول الله ﷺ واحتمل فراق الأهل والوطن في سبيل الله، فيسألها رسول الله ﷺ منكرًا عليها هذه الشهادة، فتقسم ألا تزكي بعده أحدًا أبدًا.

هذا، ونحن في زماننا هذا نشهد بالولاية لكل أبله، معتوه، ولكل من ارتفعت فوق قبره قبة أو وُضِع فوقه تابوت كُسيَ بالثياب والأستار والعمائم.

فائدة: الحكيم الترمذي صاحب كتاب «ختم الولاية» هو محمد بن علي بن بشر، توفي سنة ٣٢٠هـ كما قال الحافظ في لسان الميزان (٢٠٨٩)، هو غير صاحب السنن، فهو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، أبو عيسى الترمذي الضرير الحافظ صاحب «الجامع»، وغيره من المصنفات، توفي سنة ٢٧٩هـ.

الهوامش:

١- لفظ خاتم الأولياء لا يوجد في كلام أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، وموجب هذا اللفظ أنه آخر مؤمن تقي فإن الله يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية، فكل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا، وهم على درجتين: السابقون المقربون، وأصحاب اليمين المقتصدون، كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر وسورة الواقعة والإنسان والمطففين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءاته، ولا بد له منه. [البخاري ٦٥٠٢].

فالمتقربون إلى الله بالفرائض هم الأبرار المقتصدون أصحاب اليمين، والمتقربون إليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون، وإنما تكون النوافل بعد الفرائض، وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر بن الخطاب: اعلم أن لله عليك حقًا بالليل لا يقبله بالنهار، وحقًا بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة.

والاتحادية يزعمون أن قرب النوافل توجب أن يكون الحق عين أعضائه، وأن قرب الفرائض توجب أن يكون الحق عين وجوده كله، وهذا فاسد من وجوه كثيرة، بل كفر صريح، كما بيناه في غير هذا الموضع، وإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء ولا أكملهم، بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم؛ فإنه كلما كان الولي أعظم اختصاصًا بالرسول، وأخذًا عنه، وموافقة له كان أفضل؛ إذ الولي لا يكون وليًا لله إلا بمتابعة الرسول باطنًا وظاهرًا، فعلى قدر المتابعة للرسول يكون قدر الولاية لله.

والأولياء وإن كان فيهم محدَّثون كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر» [مسلم ٢٣٩٨]، فهذا الحديث يدل على أن أول المحدثين من هذه الأمة عمر، وأبو بكر أفضل منه ؛ إذ هو الصديق، فالمحدَّث وإن كان يُلهم ويحدَّث من جهة الله تعالى؛ فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فإنه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي: قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة، ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام.

ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقافًا عند كتاب الله، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبين له أشياء تخالف ما يقع له كما بين له يوم الحديبية ويوم موت النبي ﷺ، ويوم قتال مانعي الزكاة، وغير ذلك، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة، فتارة يرجع إليهم، وتارة يرجعون إليه، وربما قال القول فيرد عليه بعض المسلمين قوله، ويبين له الحق فيرجع إليه ويدع قوله، وربما يرى رأيًا فيُذكَر له حديث عن النبي فيعمل به ويدع رأيه، وكان يأخذ بعض السنة عمن هو دونه في قضايا متعددة، وكان يقول القول فيقال له: أصبت، فيقول: والله ما يدري عمر أصاب الحق أم أخطأه.

فإذا كان هذا إمام المحدَّثين، فكل ذي قلب يحدثه قلبه عن ربه إلى يوم القيامة هو دون عمر، فليس فيهم معصوم، بل الخطأ يجوز عليهم كلهم، وإن كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ، وهو نظير ما يثبت للأنبياء من العصمة، والحكيم الترمذي قد أشار إلى هذا، فهذا باطل مخالف للسنة والإجماع.

ولهذا اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ، وإن كانوا متفاضلين في الهدى والنور والإصابة، ولهذا كان الصديق أفضل من المحدثين؛ لأن الصديق يأخذ من مشكاة النبوة، فلا يأخذ إلا شيئًا معصومًا محفوظًا.

وأما المحدث فيقع له صواب وخطأ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه، وبهذا صار جميع الأولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة، لا بد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول ﷺ، فما وافق آثار الرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل، وإن كانوا مجتهدين فيه والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم ويغفر لهم خطأهم.

ومعلوم أن السابقين الأولين أعظم اهتداء واتباعًا للآثار النبوية فهم أعظم إيمانًا وتقوى، أما آخر الأولياء فلا يحصل له مثل ما حصل لهم. مجموع الفتاوى (٢ / ٢٢٧).

وقد ظنت طائفة غالطة أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء قياسًا على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي، فإنه صنف مصنفًا غلط فيه في مواضع ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب الفتوحات المكية وكتاب الفصوص، فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه كما يقال لمن قال: (فخر عليهم السقف من تحتهم)، فلا عقل ولا قرآن. [مجموع الفتاوى: ٢ / ٢٣١].

مصادر الموضوع

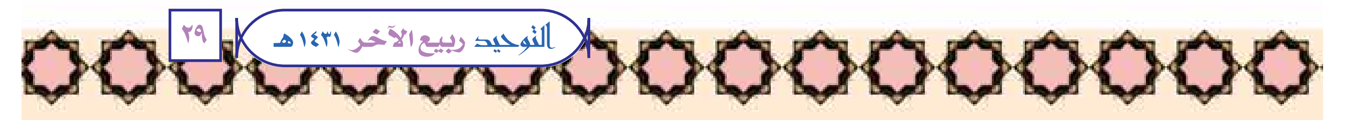
ابن تيمية بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

أبو الوفاء درويش: صيحة الحق.

عبد الرحمن الوكيل: هذه هي الصوفية، مجموعة مقالات نظرات في التصوف.

د. محمد السيد الجليند: من قضايا التصوف بين الكتاب والسنة.

د. مصطفى حلمي: ابن تيمية والتصوف.





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن الآداب التي ينبغي للضيف أن يتحلى بها، وفي هذا العدد نذكِّر ببعض آداب الطعام، وهو نعمة إلهية كبرى، لفت الله جل في علاه نظر الإنسان إليها في كثير من الآيات القرآنية، لينظر فيها ويعتبر، ويعرف قدرها، ويشكر خالقها، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤- ٣٢].

وقال عز وجل: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣-٣٥].

فسبحانه أحسن تدبير الكائنات، فخلق الأرض والسماوات، وأنزل الماء الفرات، فأخرج به الحبّ والنبات، وقدَّر الأرزاق والأقوات، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات، بأكل الطيبات، وعليه نبَّه رب العالمين في كتابه الحكيم: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

فإذا أكل المرء ليستعين بالطعام على العلم والعمل، ويقوى به على الطاعة كان له ثواب عظيم، بل «وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ». [البخاري ٢٧٤٢، ومسلم ٤٢٩٦].

وفرق بين أكل المؤمن وأكل الكافر، فالمؤمن يأكل ليتقوى على عبادة الله، والكافر يأكل كما

تأكل الأنعام. والكافر يعيش ليأكل، ويحصل على اللذات والشهوات، لكن المؤمن يعيش ليعبد رب الأرض والسماوات، ولعمل الصالحات، وليتزود من الحسنات ؛ ليرضي مولاه، ولذا يجب على المؤمن أن يلتزم هدي رسول الله ﷺ في طعامه، وهذا من الأدب الذي أطال العلماء في شرحه؛ نظرًا لكثرة الأحاديث الواردة فيه، والإسلام يهتم بجميع نواحي حياة الإنسان، وسوف نجمل هذه الآداب - إن شاء الله تعالى - في هذه النقاط بدون تفصيل:

١- غسل اليدين قبل الطعام:

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ، وإذا أراد أن يأكل غسل يديه. [النسائي ٢٥٦، وصححه الألباني]

وهذا من الحرص على النظافة، وعدم نقل الميكروبات، خاصة إذا كانت اليد غير نظيفة، فضلاً عن أنه اتباع للنبي ﷺ.

٢- استحضار نية التقوي على طاعة الله عز وجل، كما سبق.

٣- التسمية في أوله.

٤- الأكل باليمين.

٥- الأكل مما يليه.

فعن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قال: كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ». [البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٥٣٨٨].

وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ». [مسلم ٥٣٨٤].

وفي رواية عنه أيضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ وَلاَ يَشْرَبَنَّ بِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا» [مسلم ٥٣٨٦].

فإن كان له عذر كمرض أو جراحة أو غير ذلك، فلا كراهة في الأكل والشرب بها، ومن ليس له عذر فقد صرح ابن العربي بإثم من أكل بشماله، واحتج بأن كل فعل يُنسب إلى الشيطان حرام، ولذا لما ثبت أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ فَقَالَ «كُلْ بِيَمِينِكَ». قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ». مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ. قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. [مسلم ٥٣٨٧].

قال النووي: وفي هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل، واستحباب تعليم الآكل آداب الأكل إذا خالفه. [صحيح مسلم بشرح النووي ٧ / ١٨٧].

وقد عقد البخاري بابًا في صحيحه سماه: «باب الأكل مما يليه»، وترجم كذلك: «باب من تتبع حوالي القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهية». وروى حديثًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ. قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ؛ فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ؛ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيِ الْقَصْعَةِ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ. [البخاري ٢٠٩٢].

وقد اختلف الفقهاء فيمن تطيش يده في الصحفة، فيأكل من هنا وهناك، البعض قال: بكراهية ذلك، والبعض قال: بحرمته، ومنهم من قال: إذا اختلفت الأصناف جاز أن يأكل ما شاء من أي ناحية. وطيشان اليد في الإناء، فيه فقدان المروءة، وفيه الحرص والطمع والجشع والشح... إلخ. وهذا

صرح ابن العربي بإثم من أكل بشماله، واحتج بأن كل فعل يُنسب إلى الشيطان حرام

من أقبح القبائح، فضلاً عما فيه من تقزز للغير، يجعلهم يغضبون عليه، ويسخطون، وربما اعتزلوه فلا يأكلون معه بعد ذلك.

٦- الاجتماع على الطعام لتأليف القلوب:

الاجتماع على الطعام، وعدم التفرق، فيه بركة للآكلين، ومحبة وجمعاً للقلوب، وترقيقها، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ». [مسلم ٥٤٨٩]

وعن وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَأْكُلُ وَلاَ نَشْبَعُ. قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ». [أبو داود ٣٧٦٦، وحسنه الألباني].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أحضروا له الطعام قال: التمسوا بعض المساكين والفقراء، فلن آكل وحدي.

٧- الأكل من جوانب الطعام:

الأكل من جوانب القصعة أو الإناء أو الطبق لحصول البركة، روى أحمد وابن ماجه وصححه الألباني: «كلوا من جوانبها ودعوا ذروتها؛ يبارك لكم فيها».

وفي رواية: «كلوا باسم الله من حواليها، واعفوا رأسها؛ فإن البركة تأتيها من فوقها».

[ابن ماجه ٣٢٧٦، وصححه الألباني].

وفي رواية أخرى: «إن البركة وسط القصعة، فكلوا من نواحيها، ولا تأكلوا من رأسها».

[السلسلة الصحيحة للألباني ١٥٨٧].

٨- عدم النفخ في الطعام الحار، وألا يؤكل حتى يبرد.

وقد يكون لذلك أضرار صحية، من ناحية أنه يجلب الأمراض «لا ضرر ولا ضرار» [أحمد ٢٨٥٦، وصححه الألباني]، وهو كذلك تعافه النفس وتأباه، فربما خرج من النفخ رذاذ من لعابه أو ريقه.

٩- إذا سقطت منه لقمة أماط عنها الأذى وأكلها:

ولا يدعها للشيطان، فعَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ؛ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأَذَى، وَلْيَأْكُلْهَا وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ». [مسلم ٥٤٢٦]

١٠- التواضع في الجلوس:

فعن أبي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا آكُلُ مُتَّكِئًا» [البخاري ٥٣٩٨].

فعلى المسلم أن يجلس جلسة مريحة لا يُعاب عليه فيها، ولا يترتب عليها ضرر لمن بجواره.

١١- وضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض:

وفي هذا اقتداء برسول الله ﷺ، وهو دليل التواضع منه ﷺ، وإن لم يكن على الأرض فعلى السفرة التي يقول لها بعض العوام: «الطبلية».

فعَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عَلَى سُكُرُّجَةٍ قَطُّ، وَلاَ خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ، وَلاَ أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ قَطُّ. قِيلَ لِقَتَادَةَ: فَعَلاَمَ كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: عَلَى السُّفَرِ. [البخاري ٥٣٨٦]. والخوان: المائدة ما لم يكن عليها طعام. والسُّكُرجة: كلمة فارسية، قيل: هي القصعة المدهونة، وقيل: قصعة ذات قوائم كمائدة صغيرة لم يأكل عليها رسول الله ﷺ، قيل: لأنها لم تكن تُصنع عندهم، أو استصغاره لها ؛ لأن عادتهم الاجتماع على الطعام وهي تضيق الدائرة.

«كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أحضروا له الطعام قال: التمسوا بعض المساكين والفقراء، فلن آكل وحدي»

وهل يباح الجلوس أو الأكل على ما يسميه الآن في عصرنا ترابيزة السفرة ؟

الأكل عليها ليس منهيًا عنه، وهو ليس بدعة تضاد الشرع، فليس كل ما ابتُدع

منهيًا عنه، وليس في المائدة إلا رفع الطعام ليتيسر الأكل، وهذا لا كراهة فيه.

١٢- عدم الإكثار من الطعام:

عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ». [البخاري ٥٣٩٣، ومسلم ٥٤٩٣].

وعن المقدام بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي شرًا من بطن؛ بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه؛ فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه». [النسائي ٦٧٧٠، وصححه الألباني].

فالمسلم لا يشبع شبعًا يعوقه عن العبادة والعمل، ولا يجوع جوعًا مفرطًا يؤدي به إلى الهزال والهلاك، فالشبع شرّ والجوع شر، وخير الأمور الوسط. وهذا حال السلف رضوان الله عليهم.

١٣- الأكل بثلاث أصابع ولعقها بعد الأكل:

فمن سنة النبي ﷺ أنه كان عليه الصلاة والسلام يأكل بثلاث أصابع، وكان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث. فعن جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ». [مسلم ٥٤٢١].

١٤- عدم ذم الطعام أو عيبه:

كان ﷺ إذا أعجبه الطعام أكله، وإن لم يعجبه تركه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلاَّ تَرَكَهُ. [البخاري ٣٥٦٣].

ولما قُدِّم الضب على مائدته لم يعبه، وإنما ترك أكله فعن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: «... فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَنْ الضَّبِّ، فَقُلْت: أَحَرَامٌ الضَّبُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ». [البخاري ٥٣٩١، ومسلم ٥١٤٦].

١٥- حمد الله تعالى بعد الطعام والشراب:

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا». [مسلم ٧١٠٨].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِذَا رُفِعَتْ الْمَائِدَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّه حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا» [أبو داود ٣٨٤٩، وصححه الألباني].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ. وَإِذَا سُقِيَ لَبَنًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ. فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلاَّ اللَّبَنُ». [أبو داود ٣٧٣٢، وحسنه الألباني].

وذلك لأن المسلم يتذكر عند ذلك أن هذا الطعام والشراب من فضل الله وكرمه.

١٦- الدعاء لمن أكل عنده:

ففي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني». [مسلم ٥٤٨٣].

وهناك آداب ليس عليها بخصوصها أدلة من الكتاب والسنة، ولكنها توافق روح الشريعة، والعرف العام، ومن ذلك ألا ينظر إلى رفاقه بعين المراقبة، وألا ينفض اليد في الإناء، وعدم الأكل والفم مملوء بالطعام، وليحذر الكلام وفي فمه طعام.. إلخ هذه الآداب.

وإلى لقاء في العدد القادم إن شاء الله تعالى، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد وآله وصحبه. والحمد لله رب العالمين.

▫▫ المسلم لا يشبع شبعًا يعوقه عن العبادة والعمل، ولا يجوع جوعًا مفرطًا يؤدي به إلى الهزال والهلاك، فالشبع شرّ والجوع شر، وخير الأمور الوسط. وهذا حال السلف رضوان الله عليهم ▫▫



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

نواصل في هذا المقال الحديث عن الشيعة النصيرية التي تنتشر في بعض بلاد المسلمين، وتخفي حقيقتها على الكثير من المسلمين، حتى إن بعض أهل السنة -في غياب الوعي الديني؛ وسعيًا للتقرب من النظام الحاكم بسوريا- يزوّجون بناتهم لبعض النصيريين.

أولاً: أماكن وجودهم وانتشار مذهبهم وعقائدهم الباطلة

تُقدر نسبة الشيعة النصيرية في التعداد العام لسكان سوريا المسلمة بنحو ١٠ في المائة من إجمالي السكان، أي ما يقارب مليونًا وسبعمائة ألف نصيري شيعي، وقد حدث إعادة لتوزيعهم السكاني في سوريا بعد اغتصابهم للحكم؛ حيث نزحوا إلى دمشق والمدن الكبرى، بعد أن كانوا يسكنون الجبال والسهول المحاذية للساحل السوري، فضلاً عن إقامة معظمهم في جبال اللاذقية وحمص؛ هذا عن وجودهم في سوريا.

أما في لبنان فهم موجودون في سهل عكاز شمال لبنان بضواحي مدينة طرابلس، ومعظمهم نازح من سوريا؛ ولذا فإن ولاءهم التام للنظام السوري الشيعي العلوي، ويقدر عددهم في لبنان بنحو أربعين ألفًا، كما يوجد ما يقرب من مليوني شيعي نصيري في تركيا، ولهم وجود في العراق وفلسطين وفارس وتركستان وكردستان، وقد قويت شوكتهم بعد تسلم إخوانهم السلطة في سوريا.

ثانيًا: أعياد الشيعة النصيرية

يشارك الشيعة النصيرية باقي فرق الشيعة في بعض الأعياد؛ بيد أن لهم أعيادهم الخاصة التي يحتفلون بها، ومن أهمها:

١- عيد الغدير:

وهو عيد عام عند عامة فِرَق الشيعة، يحتفلون به في ١٨ من ذي الحجة كل عام؛ حيث يصلون في ليلته وفي صباحه، وشعارهم فيه لبس الجديد، وعتق العبيد، وذبح الأغنام.

٢- عيد عاشوراء:

ويحتفلون به في يوم العاشر من المحرم كسائر فرق الشيعة، وهو ذكرى استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في كربلاء، لكن الشيعة النصيرية تعتقد أن الحسين لم يمت بل اختفى وسيعود كعيسى عليه السلام!!!

٣- عيد المهرجان: ويحتفلون به في أول الخريف من كل عام.

٤- عيد النيروز: وكلمة النيروز تعني اليوم الجديد، ويحتفلون به في أول الربيع من كل عام.

ويشارك النصيريون النصارى في بعض الأعياد كعيد الغطاس، وعيد السعف والعنصرة، وعيد القديسة باربارا، العيد الكاثوليكي الأرثوذكسي.

وفي يوم الخامس عشر من شعبان يحتفل النصيريون بذكرى وفاة سلمان الفارسي، خالق الأيتام الخمسة - باعتقادهم -.

ثالثًا: مؤامرتهم

للشيعة النصيرية تاريخ ملوث بالدماء بحق أهل السنة العُزَّل؛ حيث لم يتركوا فرصة إلا ذبحوا فيها الأبرياء من أهل السنة؛ إذ إنهم يعتقدون أنهم يثابون على ذلك -بزعمهم-، وإليك أخي القارئ جانبًا من مجازرهم التي ارتكبوها قديمًا وحديثًا في حق أهل السنة.

١- مجزرة حماة السورية:

هي تلك المجزرة التي هزت كيان المسلمين في ذلك الزمان؛ ففي عام ١٩٨٢م أصدر رفعت الأسد أوامره بحشد القوات النصيرية، ومحاصرة مدينة حماة السنية بوحدات السرايا العسكرية المجهزة بالصواريخ والآليات والدبابات؛ فعزلت هذه المدينة المسلمة عن المدن السورية، وسدَّت جميع منافذها والطرق المؤدية إليها، وقطعت المياه والكهرباء عنها، فضلاً عن منع المواد الغذائية والإسعافات الأولية، ثم بدأت قصف هذه المنطقة المعزولة بمختلف الأسلحة المدمرة، وتقدمت قوات المشاة فاقتحمت الأحياء السكنية، وقتلت من فيها.

« للشيعة النصيرية تاريخ ملوث بالدماء بحق أهل السنة العُزَّل؛ حيث لم يتركوا فرصة إلا ذبحوا فيها الأبرياء من أهل السنة؛ إذ إنهم يعتقدون أنهم يـــثـــابـــون عـــلى ذلك - بـــزعـــمـــهـــم - »

وتفيد التقارير أن الأسلحة التي استُخدمت في تدمير حماة هي راجمات للصواريخ، ومدفعيات ثقيلة، ودبابات، ومدرعات، ومدافع هاون، وطائرات عمودية، وقنابل عنقودية حارقة.

فهدم النصيريون المساجد والأسواق، كما دمرت المقابر، بل إن أحياء سكنية أبيدت بكاملها وفتحت المعتقلات، وتم تصفية شباب أهل السنة جسديًا؛ فقتل في هذه المجزرة ما يربو على أربعين ألف مسلم من أهل السنة، واعتُقل نحو ١٥٠٠٠ رجل يعتبرون إلى الآن في عداد المفقودين، وتم تشريد حوالي ١٥٠٠٠٠ مسلم في المدن السورية الأخرى.

وأبيد ثلث المدينة بالكامل، وقدرت الخسائر بحوالي ٥٥٠ مليون دولار، وهذه المجزرة تحكي الوجه القبيح للشيعة النصيرية وحقدهم على أهل السنة، واستباحة دمائهم، واستحلال أموالهم، فهل يمكن لعاقل أن ينادي بعد ذلك بالتقريب بين الكفر والإيمان؟!! أم أنه الجهل المركب والتدليس الفاضح.

٢- مجزرة مخيم تل الزعتر:

حيث رتب الجيش النصيري، بالتعاون مع الميليشيات الصليبية المارونية، حصار واقتحام مخيم تل الزعتر الفلسطيني الذي كان يضم أكثر من ١٧٠٠٠ فلسطيني من أهل السنة، فدكت المدفعية النصيرية المخيم، بينما البحرية الإسرائيلية تحاصره من البحر، وتطلق القنابل المضيئة، ودخلت القوات المارونية الصليبية المخيم بالتعاون مع النصيريين وتم تدمير المخيم بالكامل، وبلغ عدد القتلى أكثر من ٦٠٠٠ قتيل من أهل السنة.

٣- مجزرة سجن تدمر:

حيث قامت القوات النصيرية بعد محاولة الاغتيال الفاشلة للرئيس حافظ الأسد، والتي اتُّهِمَ فيها أهل السنة ظلمًا وعدوانًا، وذلك سنة ١٩٨٠م، فأُصدرت الأوامر بتدمير سجن تدمر الواقع شرق سوريا، وكان معظم نزلائه من أهل الصلاح والتقوى، وقد أبيد السجن بمن فيه بالكامل بطائرات ومدافع النصيرية؛ بقيادة النصيري رفعت الأسد، وقُدر عدد الموتى في تلك المجزرة بـ ٧٠٠ شاب مسلم من خيار أهل السنة، ووزعت مكافآت مالية على الجنود النصريين بعد تدميرهم للسجن بمن فيه.

٤- مجزرة جسر الشغور:

حيث حاصرت القوات الخاصة النصيرية -والتي حملتها ١٦ طائرة عمودية للبلدة- جسر الشغور، ووجهت الصواريخ والمدافع إليها، ولم يرحموا الأطفال من أبناء أهل السنة؛ حيث شقوا جسد طفل صغير أمام عين أمه التي ماتت من هول ما رأت.

٥- نزع حجاب المسلمات العفيفات في دمشق:

حيث قامت المظليات النصريات بالاعتداء على النساء المحجبات من أهل السنة، وذلك بنزع الحجاب من على رؤوسهن في شوارع المدينة، وقد وصفت بعض الصحف الأوروبية هذا العمل بأنه حرب على الإسلام من النظام النصيري.

٦- مجزرة مدينة هنانو في حلب:

حيث قامت القوات التابعة للنصيرية بإجبار المصلين على ترك المساجد، وجمعتهم في مقبرة هنانو، وفتحت أسلحة النيران المختلفة عليهم، وقد بلغ عدد ضحايا تلك المجزرة ٨٣ شخصًا من أهل السنة.

أخي القارئ.. هذا هو الوجه القبيح للرفض والتشيع، وهذا هو التاريخ يقص عليك ما فعلوه بأهل السنة، والتاريخ لا يعرف الكذب، وذاك هو واقع أهل السنة في سوريا المسلمة المدعومة من المد الفارسي بإيران ولبنان، فهل نقبل هذا الغزو اللئيم لمصر المسلمة، تحت عباءة التصوف، وزعم حب آل البيت، فخذوا حذركم يا أولي الألباب، فالرفض قد شمر عن ساعده لغزو البلاد المسلمة تحت شعارات مختلفة، وفي زمن الدولارات تباح المحظورات.

والله من وراء القصد.

انظر المراجع:

١- مجمل عقائد الشيعة: لعدوي الحربي.

٢- فرق معاصرة: لغالب عواجي.

٣- الهفت الشريف، كتاب نصيري بتحقيق علمائهم.

٤- الإسلام في مواجهة الباطنية.

٤- تاريخ الإسلام السياسي، لحسن إبراهيم.

٥- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي.

٦- العلويون.

٧- دراسات في الفرق، جابر طعيمة.

٨- طائفة النصيرية، للحلبي.



من نور كتاب الله

الدعاء عبادة لا تجوز إلا لله

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦].

من هدي النبي ﷺ

خالق الناس بخلق حسن

عن جابر بن سليم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار؛ فإن إسبال الإزار من المخيلة، ولا يحبها الله، وإن امرؤ شتمك وعيَّرك بأمر ليس هو فيك، فلا تعيره بأمر هو فيه، ودعه يكون وباله عليه، وأجره لك، ولا تسبن أحدًا». [النسائي في السنن الكبرى (٩٦١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩٨].

من دلائل النبوة

رؤيته ﷺ للجنة والنار

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، يضع حافره عند منتهى طرفه فلم نزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس، ففتحت لي أبواب السماء».

حكم ومواعظ

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم، وما قيل فيكم الحق فعرفتموه، فإن عارف الحق كعامله».
- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «ما أعطي إنسانٌ شيئًا خيرًا من صحة، وعفة، وأمانة وفقه».
- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إني لأمقت الرجل أراه فارغًا لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة». [كنز العمال].

من نصائح السلف

عن عمر رضي الله عنه أنه وعظ رجلاً فقال: «لا تلهك الناس عن نفسك، فإن الأمر يصير إليك دونهم، ولا تقطع النهار ساربًا، فإنه محفوظ عليك ما عملت، وإذا أسأت فأحسن، فإني لا أرى شيئًا أشد طلبًا ولا أسرع دركة من حسنة حديثة لذنب قديم». [كنز العمال].

من فضائل آل البيت

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني ملك فسلم عليَّ؛ نزل من السماء، لم ينزل قبلها فبشَّرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». [صحيح الجامع ٧٩].



من دعائه ﷺ

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول: «اللهم لك الحمد، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد. اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد. اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس». [مسلم ٤٧٦].

من أقوال السلف

قال الإمام البربهاري -رحمه الله-: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوًى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح؛ فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله». [السنة للبربهاري].

التسليم لسُنَّة النبي ﷺ

قال الشافعي - رحمه الله -: «أجمعت الأمة على أن من استبانت له سنة النبي ﷺ ليس له أن يدعها لقول أحد كائنًا من كان» [الرسالة للشافعي].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

- «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» (لا أصل له).

والتوسل المبتدَع أنكره الإمام أبو حنيفة؛ فقال: «أكره أن يُسأل اللهُ إلا بالله»، وأما توسل الإمام الشافعي بأبي حنيفة؛ فقد ورد في رواية ضعيفة بل باطلة. [السلسلة الضعيفة].

من أمثال العرب

(أكْذِبِ النَّفْسَ إذا حَدَّثَتْهَا): أي لا تُحَدِّثْ نفسكَ بأنكَ لا تظفر، فإن ذلك يُثَبِّطُك.

وسئل بشَّار بن برد: أي بيت قالته العرب أشعر؟ قال: إن تفضيل بيتٍ واحد على الشعر كله لشديد، ولكن أحسنَ لبيدٌ في قوله:

أكْذِبِ النَّفْسَ إذا حَدَّثْتَهَا
إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بالأَمَلِ

من غريب الأحاديث

(نجش) وفيه: «أن رسول الله ﷺ نَهى عن النَّجْش» [البخاري ٦٩٦٣]، وهو: أن يَمدَح رجلٌ السِّلعة أمام مَن يريد الشراء؛ ليُنَفِّقَها ويُرَوِّجَها، أو يَزيد في ثمنها، وهو لا يريد شراءَها ليَقَع غيرُه فيها. [النهاية في غريب الحديث بتصرف].



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
تكلمنا في المقال السابق عن مبحث العام والخاص ومدى أهميته في أصول الفقه، وذكرنا من مسائله تعريف العام، وأنواعه، وألفاظ العموم، وتعريف الخاص، ونستأنف البحث - إن شاء الله تعالى -.
فنقول: سبق معنا أن الخاص: هو قصر العام على بعض أفراده بدليل يدل على ذلك.
وهنا تبرز أهمية «قرائن السياق» في تخصيص العام، سواءً كانت متصلة بالنص، ولها أنواع كثيرة - كما سنرى - أو منفصلة عنه، بأنواعها المختلفة - كما سيأتي -.
والجمهور على التخصيص بالمخصصات بنوعيها: المتصلة والمنفصلة، خلافًا للحنفية الذين يذهبون إلى التخصيص بالمخصصات المنفصلة (المستقلة) فقط.

أدلة التخصيص

تنقسم أدلة التخصيص إلى قسمين: متصلة، ومنفصلة.

الأدلة المتصلة: وهي ما يُعرف بالقرائن المتصلة، وهي التي تكون مذكورة مع النص العام، وتكون جزءًا من الكلام الذي اشتمل على اللفظ العام، ولها أنواع كثيرة، منها:

أولاً الاستثناء: وهو إخراج بعض أفراد العام بـ «إلا» أو إحدى أخواتها، مثل: سوى، غير، حاشا، كلا، عدا، ليس، لا يكون، خلا.

والاستثناء مهم، بل هو أهم المخصصات المتصلة وأوضحها دلالة؛ لأن الفقهاء والأصوليين يقولون: الاستثناء معيار العموم، بمعنى أن اللفظ إذا كان يصلح أن يُستثنى منه فإنه عام، فإذا أردنا أن نختبر لفظًا هل هو عام أم لا فإننا نستثني منه، فإن صح الاستثناء كان اللفظ عامًا وإلا فلا.

مثل قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

فأقسم الله تعالى بالعصر إن الإنسان لفي خسر، وخصَّ منه «إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات». والتخصيص هنا، كان بالاستثناء بـ «إلا».

ومثل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ هذا عام يشمل كل كافر، ولكن استثنى منه: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.

فخصَّ من العموم بالاستثناء، من أُكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان.

- والاستثناء حتى يصح للتخصيص له شروط:

شروط الاستثناء

١- **الاتصال:** وهو أن يتصل المستثنى بالمستثنى منه حقيقة أو حكمًا، فالمتصل حقيقة هو المباشر للمستثنى منه؛ بحيث لا يفصل بينهما فاصل، كالأمثلة السابقة.

والمتصل حكمًا هو ما فصل بين المستثنى والمستثنى منه فاصل لا يمكن دفعه: كالسُّعال والعطاس، مثل أن يقول رجل: له عندي عشرة دراهم - وهو يريد أن يستثني إلا درهمًا - لكن أخذه السعال لبعض الوقت، ثم لما توقف قال: إلا درهمًا، فإنه يصح؛ لأنه متصل حكمًا. وكذلك لو أخذه العطاس أو ما شابه ذلك مما لا يستطيع دفعه.

- أما إذا فصل بين المستثنى والمستثنى منه ما يمكن دفعه، كسكوت متعمد، أو كلام آخر، فقد اختلف



إعداد/ متولي البراجيلي

أهل العلم هل يصح الاستثناء في هذه الحالة أم لا؟ والجمهور على اشتراط الاتصال. فنقل ابن قدامة في «روضة الناظر» عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه يجوز أن يكون منفصلاً، وعن عطاء والحسن جواز تأخيره ما دام في المجلس، وأومأ إليه أحمد - رحمه الله - في الاستثناء في اليمين.. ثم قال ردًا لهذا الرأي: «والأولى ما ذكرناه». وهو اتصال الكلام. [٢ / ١٣٦].

- ومن رجَّح صحة الاستثناء - بعد الفصل - قال: ودليل ذلك حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض لا يُعضد شوكه، ولا يُختلى خلاه، فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر، فإنه لقينهم وبيوتهم، فقال: إلا الإذخر». [متفق عليه].

[لا يعضد شوكه: لا تقطع شجره. ولا يُختلى خلاه: لا يُحَشُّ حشيشه. الإذخر: نبت طيب الرائحة. لقينهم: والقين هو الحداد].

فالنبي ﷺ خطب الناس، وأطال الخطبة، وبعد أن انتهى منها قال له العباس رضي الله عنه: إلا الإذخر. فخصَّه النبي ﷺ بالاستثناء مع الفاصل بين المستثنى والمستثنى منه.

وقال في «فتح الباري»: وأجابوا عن ذلك (أي الجمهور) بأن هذا الاستثناء في حكم المتصل لاحتمال أن يكون النبي ﷺ أراد أن يقول إلا الإذخر، فشغله العباس بكلامه، فوصل كلامه بكلام نفسه، فقال: إلا الإذخر. [فتح الباري ٤ / ٤٩].

مسألة: هل تشترط النية قبل إنشاء الاستثناء؟

يعني لو قلت: عبيدي أحرار عتقًا لله، ولم تنو أن تستثني أحدًا منهم عند بداية الكلام، ثم طرأ لك أن تستثني واحدًا منهم، فقلت: إلا زيدًا. فهل يصح هنا الاستثناء؟

فيه خلاف، فقال فريق بصحة المستثنى منه، وقال فريق بعدم صحته، ورجَّح ابن عثيمين عدم اشتراط النية، وصحة الاستثناء. [شرح الأصول ٢٨٢].

مسألة: إذا ذُكِّر المتكلم بالاستثناء، فاستثنى، صح استثناؤه، كما بالحديث لمَّا ذكَّر العباس رضي الله عنه النبي ﷺ، فاستثنى ﷺ، أمَّا لو ذكَّره، ولم يُقرّه على هذا التذكير، لصار الاستثناء لاغيًا.

٢- أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه:

التخصيص بالاستثناء المنقطع فيه خلاف، وعلى القول به كما عند المالكية يحتاج إلى التأويل، فلو قلت: له عليَّ عشرة دنانير إلا كتابًا، فالتأويل: إلا قيمة الكتاب، فيكون التخصيص من العشرة دنانير هي قيمة الكتاب وهي بالدنانير أيضًا، فكأنه يعود عمليًا إلى الاستثناء المتصل، على أن أهل العربية يسمون الاستثناء من غير الجنس منقطعًا، ويقدِّرون (إلاَّ) فيه بمعنى «لكن»؛ لاشتراكهما في معنى الاستدراك بها؛ فافترقا.

٣- أن لا يكون الاستثناء مستغرقًا: نحو قول القائل: له عليَّ عشرة إلاَّ عشرة. فهنا يبطل الاستثناء إجماعًا؛ لأن استثناء الكل يجعله كأن لم يكن.

أما إن استثنى الأكثر أو النصف: نحو قوله: له عليَّ عشرة إلا ستة. وقوله: له عليَّ عشرة إلا خمسة. اختلف أهل العلم في صحة هذا الاستثناء، فمنهم من صحَّحه، ومنهم من أبطله.

ولعل الراجح صحته؛ إذ إن الأصل في النطق الصحة حتى يقوم دليل على البطلان، فلو قال: له عليَّ عشرة إلا سبعة. صح استثناؤه، وإن كان خلاف الفصيح من كلام العرب.

٤- إذا جاء الاستثناء بعد عدة جمل معطوفة؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٤، ٥].

فهل يعود الاستثناء إلى جميع الجمل المعطوفة، أم إلى الجملة الأخيرة فقط؟

بمعنى أنه إذا تاب لا يُجلد، وتُقبل شهادته، ويُرفع عنه وصف الفسق؟

أما الجَلْد فهذا من حقوق الآدميين، والتوبة لا تمنعه، إلا إذا رُفع إلى السلطان عفو المقذوفة عنه، أو ماتت قبل المطالبة بحدّها، ولم يكن لها طالب يطالب بحدِّها.

وأما قبول الشهادة، وإزالة اسم الفسق عنه، فالاستثناء يعود عليهما معًا: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ [تفسير الطبري بتصرف: ١٩ / ١٠٨].

ونقل ذلك القرطبي في تفسيره عن مالك والشافعي وأصحابهما، فقال: الاستثناء إذا تعقب جملاً معطوفة عاد إلى جميعها عند مالك، والشافعي، وأصحابهما. وعند أبي حنيفة وجُلّ أصحابه يرجع الاستثناء إلى أقرب مذكور وهو الفسق، ولهذا لا تقبل شهادته - عندهم -. [تفسير القرطبي ١٢ / ١٨١].

يقول الشنقيطي في «أضواء البيان»: ورجوع الاستثناء لكل ما قبله من المتعاطفات، جملاً كانت أو مفردات، هو الجاري على أصول مالك والشافعي وأحمد، خلافًا لأبي حنيفة القائل برجوع الاستثناء للجملة الأخيرة فقط، ولذلك لا يرى قبول شهادة القاذف ولو تاب وأصلح؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾، يرجع عنده لقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فقط، أي الذين تابوا فقد زال عنهم فسقهم بالتوبة، ولا يقول برجوعه لقوله: ﴿وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾، بل يقول: لا تقبلوها لهم مطلقًا لاختصاص الاستثناء بالأخيرة عنده.

وفي قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

إن السياق يبيِّن أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ﴾ يرجع لجميع الجمل المعطوفة في الآيات، وهذا هو الموافق للشرع، وهذا ما عليه الجمهور.

وأبو حنيفة في هذه الآيات لم يخالف أصله في قوله برجوع الاستثناء إلى آخر مذكور؛ إذ إن جميع الجمل المتعاطفة في الآيات جمعت في اسم الإشارة «ذلك» في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾، فجمع في «ذلك»: الشرك والقتل والزنى، فبرجوعه للأخيرة رجع للكل، فظهر أن أبا حنيفة لم يخالف فيها أصله.

وبناءً على هذا، لو قال رجل: هذه الدار حَبْسٌ على الفقراء والمساكين وبني زهرة، وبني تميم، إلا الفاسق، فإنه يخرج فاسق الكل عند مالك والشافعي وأحمد، بينما لا يخرج إلا فاسق بني تميم عند أبي حنيفة. [المدخل إلى مذهب أحمد ١ / ١٢٦، وأضواء البيان ١ / ٢٢- ٢٣ بتصرف].

ولكن يشكل على هذا أن هناك آيات لا يعود الاستثناء فيها للجميع، بل يكون لآخر مذكور، والمرجع في هذا إلى قرائن السياق فهي التي ترجح إن كان الاستثناء يعود على الجميع أم لا.

لذا نجد من أهل العلم كابن الحاجب من المالكية، والغزالي من الشافعية، والآمدي من الحنابلة قالوا: إن الحكم في الاستثناء الآتي بعد متعاطفات هو الوقف، وأن لا يُحكم برجوعه إلى الجميع ولا إلى الأخيرة - آخر مذكور -.

ففي قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢]، فالاستثناء في الآية راجع لآخر مذكور وهو الدية، فهي تسقط بتصدق مستحقها بها، ولا يرجع لتحرير الرقبة قولاً واحدًا؛ لأن تصدُّق مستحق الدية لا يُسقط كفارة القتل الخطأ.

وفي قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾.

فالاستثناء في الآية لا يرجع لقوله: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾؛ لأن القاذف إذا تاب لا تُسقط توبته حدَّ القذف.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا (٨٩) إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾.

فالاستثناء في الآية لا يرجع قولاً واحدًا إلى الجملة الأخيرة - أقرب مذكور - وهي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾؛ إذ لا يجوز اتخاذ ولي ولا نصير من الكفار، ولو وصلوا إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق، بل الاستثناء راجع للأخذ والقتل في قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾، فيكون المعنى: فخذوهم بالأسر واقتلوهم إلاَّ الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق؛ فليس لكم أخذهم

بأسر ولا قتلهم؛ لأن الميثاق الكائن لمن وصلوا إليهم يمنع من أسرهم وقتلهم. [أضواء البيان ٢٣، ٢٤ بتصرف].

٥- لا يصح الاستثناء إلا نطقًا، إلا في يمين خائف بنطقه، وقيل قياس مذهب مالك صحته بالنية، ويجوز تقديم الاستثناء عند الكل (أي تقديم الاستثناء على المستثنى منه). قال في نيل الأوطار:... أن التقييد إنما يفيد إذا وقع بالقول كما ذهب إليه الجمهور، لا بمجرد النية إلا ما زعمه بعض المالكية عن مالك أن قياس قوله صحة الاستثناء بالنية. (٩ / ٩١).

وبناءً على هذا لو قال لزوجته: أنت طالق ثلاثًا ونوى إلا واحدة، وقعت الثلاث؛ لأن العدد نص فيما يتناوله؛ فلا يرتفع بالنية، لأنه أقوى منها.

وقال في بداية المجتهد: وأما اشتراط النطق باللسان فإنه اختلف فيه، فقيل: لا بد فيه من اشتراط اللفظ، أي لفظ كان من ألفاظ الاستثناء، وسواء أكان بألفاظ الاستثناء أو بتخصيص العموم أو بتقييد المطلق، هذا هو المشهور. (١ / ٣٣٢).

ثانيًا: الشرط: وهو تعليق شيء بشيء وجودًا أو عدمًا بـ «إن» الشرطية أو إحدى أخواتها كـ: إن، إذا، متى، أين، أيَّان، من، ما، مهما، حيثما، إذ ما. وأهم هذه الصيغ (إن) الشرطية؛ لأنها تستعمل في جميع صور الشرط بخلاف أخواتها، فإن كل واحدة منها تختص بمعنى ولا تجري في غيره، فـ (من) لمن يعقل، و(ما) لما لا يعقل، و(إذا) لما لا بد من وقوعه، كقولك: إذا احمرَّ البسر (التمر قبل نضجه) فأتنا، ونحو ذلك... [الإحكام للآمدي ٢ / ٣٣٣].

شرح التعريف: تعليق شيء بشيء وجودًا، كمثل قول القائل: إن بررت والدك أعطيتك هدية، فهنا علَّق وجود الهدية على وجود بر الوالد.

- وتعليق شيء بشيء عدمًا، كمثل: إن لم تبر والدك فلن أعطيك هدية. فعلَّق عدم إعطاء الهدية على عدم بر الوالد.

- والشرط يخصص سواءً كان حرفًا مثل: إن، أو اسمًا مثل: من. وسواءً تقدم أم تأخَّر.

مثال الشرط المتقدم: قوله تعالى في المشركين: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، والتخصيص سبقه، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾.

ومثال الشرط المتأخر: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣].

فالعموم في الآية في قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾، والتخصيص بالشرط في قوله: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، فخصَّ العموم بمن يُعلم فيه الخير، ومفهومه: إن لم نعلم فيه الخير فلا نكاتبه.

ثالثًا: الصفة: ليست هي الصفة (النعت) عند النحويين فقط، بل الصفة في تخصيص العام هي الصفة المعنوية، وهي كل ما أشعر بمعنى يختص به بعض أفراد العام، وهي تشمل النعت، أو البدل، أو الحال.

- التخصيص بالنعت:

لو قال قائل: أكرم الطلبة المجتهدين؛ فقد خصص الإكرام للطلبة المجتهدين فقط، وهذا تخصيص بالنعت.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥].

فقوله: «من فتياتكم» عام يشمل المؤمنة وغير المؤمنة، لكن خصص بالنعت «المؤمنات»؛ فلا يجوز نكاح غير المؤمنة (المسلمة) من الفتيات (الإماء).

وفي حديث النبي ﷺ: «من باع نخلاً مؤبرًا فثمرتها للبائع إلا أن يشترط المبتاع». [متفق عليه]. [وتأبير النخل: هو تلقيحه بوضع شيء من طلع النخلة الذكر في طلع النخلة الأنثى].

فقوله: «مؤبرًا» نعت للنخل، فخصصت العموم، ومفهومها أن النخل إن لم يؤبر فثمرتها للمشتري.

- التخصيص بالبدل:

مثل قوله: هذا وقف على أولادي المحتاجين منهم، فخصص عموم الأولاد بالمحتاجين منهم فقط.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ٩٧]، فالناس في الآية عام، خُصص بالبدل بقوله: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، فصار الحج واجبًا على المستطيع فقط.

- التخصيص بالحال:

كقوله: أكرم الطلبة الداخلين في المسجد، فقوله: أكرم الطلبة عام خُصص بالحال، بقوله: الداخلين في المسجد.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥]، فقوله: «متعمدًا» حال خصص العموم في القتل بأن الجزاء خاص بالمتعمد دون المخطئ.

والحمد لله رب العالمين.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



القرض الإنتاجي الربوي

إعداد: د/ علي أحمد السالوس

أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فما يزال حديثنا متصلاً حول الربا في الفقه الإسلامي، فقد تحدثنا في العدد قبل الماضي عن الربا في الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، ومفهوم الربا المحرم، وقلنا: إن تحريم فوائد القرض ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. كما تحدثنا في العدد الماضي عن زلة هيئة المعايير.

ونتحدث في هذا العدد بعون الله تعالى عن:

القرض الإنتاجي الربوي

القروض الربوية في عصرنا منها ما يُعرف بالقرض الاستهلاكي، ومنها ما يُعرف بالقرض الإنتاجي، أو الاستغلالي أو الاستثماري.

فإذا احتاج شخص إلى مال ليشتري طعامًا لا يجده، أو شرابًا، أو غير ذلك من حاجاته الضرورية، وأعطاه آخر قرضًا بفائدة، فإن هذا يسمى قرضًا استهلاكيًا؛ لأن القرض يؤخذ للاستهلاك، وحرمة هذا القرض واضحة بلا خلاف.

أما إذا استُخدم القرض في التجارة من أجل التنمية والربح، أو في أي لون من ألوان الاستثمار، وحُددت فائدة ثابتة لرأس المال، فهذا يسمى قرضًا إنتاجيًا.

حرمة القرض الإنتاجي كالاستهلاكي

ولقد وجدنا في عصرنا - للأسف الشديد - من يحل فوائد القروض الإنتاجية! مع أننا إذا نظرنا إلى قروض الجاهلية التي حرمها الإسلام، وجدنا ندرة القرض الاستهلاكي، ذلك أن العربي قلما يحتاج إلى قرض استهلاكي.

فالعرب في الصحراء كان غذاؤهم فيها بسيطًا؛ فقليل من الشعير يكفيهم، وإذا أضيف التمر واللبن فذلك غذاء رافه، وكان لباسهم بسيطًا كغذائهم، وهو ليس أكثر من ثوب طويل يضمه في وسطه منطقة، وقد تلفه عباءة، وغطاء للرأس يمسكه عقال.

ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم، وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية، وما فيها من إجداب وإمحال، فكان الغني بينهم يعطف على الفقير، وكثيرًا ما كان يذبح إبله في سنين القحط يطعمها عشيرته، كما يذبحها قرير العين لضيفانه الذين ينزلون به أو تدفعهم الصحراء إليه.

ومن سننهم أكثر أنهم كانوا يوقدون النار ليلاً على الكثبان والجبال؛ ليهتدي إليهم التائهون والضالون في الفيافي، فإذا وفدوا عليهم أمَّنوهم حتى لو كانوا من عدوهم. [انظر: كتاب العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص٦٨- ٧٨].

أما مكة في الجاهلية فكانت مدينة تجارية عظيمة، وأهلها اعتادوا القيام برحلتين تجاريتين؛ إحداهما إلى اليمن شتاءً، والأخرى إلى الشام صيفًا، وقد امتن الله عز وجل عليهم بهذا في سورة قريش كما هو معلوم.

«وعقد عبد شمس معاهدة تجارية مع النجاشي،

كما عقد نوفل والمطلب حلفًا مع فارس ومعاهدة تجارية مع الحميريين في اليمن، وكذلك ازدادت مكة منعة وجاهًا كما ازدادت يسارًا.

وبلغ أهلها من المهارة في التجارة أن أصبحوا لا يدانيهم فيها مُدانٍ من أهل عصرهم، فكانت القوافل تجيء إليهم من كل صوب، وتصدر عنها في رحلتي الشتاء والصيف، وكانت الأسواق تنصب فيما حولها لتصريف هذه التجارة فيها، ولذلك مهر أهلها في النسيئة والربا، وفي كل ما يتصل بالتجارة من أسباب المعاملات». [حياة محمد ﷺ للدكتور محمد حسين هيكل - ص: ٩٧].

من هنا نرى أن مثل هذا المجتمع العربي تندر فيه القروض الاستهلاكية، وتكثر فيه القروض الإنتاجية للتجارة.

ونستطيع أن ندرك دقة الفتوى التي أجمع عليها كبار علماء المسلمين المشتركين في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م) حيث أفتوا بأن: «الفائدة على أنواع القروض كلها ربًا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي».

وبعد هذه الفتوى الجماعية يجب أن تتوقف الفتاوى الفردية، وألا نبرر لأنفسنا التعامل بالربا متعللين بأن فلانًا من الناس قال: إنه ليس ربا، وأنه حلال!

الربا في الدراسات الاقتصادية

أشار بعض من كتب عن فوائد البنوك وشهادات الاستثمار إلى ضرورة الأخذ برأي رجال الاقتصاد -ما دمنا نبحث مسألة اقتصادية- فلا يكفي أن تسمع الآراء الفقهية. والواقع أن هذه المسألة لها جانبان:

جانب الحكم الشرعي؛ وهذا من اختصاص فقهاء الشريعة، سواء أوافقهم رجال الاقتصاد أم لم يوافقوهم.

والجانب الآخر اقتصادي؛ فهو من اختصاص علماء الاقتصاد، يؤخذ برأيهم ما دام لا يخرج عن دائرة الحلال، فإذا ثبت من الحكم الشرعي أن نظامًا اقتصاديًا ما يُعتبر حرامًا، فعلى علماء الاقتصاد المسلمين أن يبحثوا عن البديل الإسلامي حتى ولو رأوا صلاح هذا النظام المحرم.

ومجمع البحوث الإسلامية عندما أفتى في مؤتمره الثاني بحرمة فوائد البنوك دعا أهل الاختصاص المسلمين للبحث عن نظام آخر يتفق مع الإسلام، وجاءت البنوك الإسلامية تلبية لهذه الدعوة، وتطبيقًا عمليًا للبديل الإسلامي، والمؤتمرات الإسلامية التي قالت بحرمة فوائد البنوك اشترك فيها فقهاء الشريعة والاقتصاد والقانون.

وأشرت في بعض الدراسات إلى أن المصلحة الاقتصادية دائمًا ليست في التعامل بنظام الفائدة، ولعل تلك الإشارة لا تكفي لأولئك الذين يريدون أن يستمعوا لرأي الاقتصاديين، لذلك أضيف هنا نتائج دراسة قام بها الأخ الصديق الدكتور رفعت العوضي الأستاذ بكلية التجارة، جامعة الأزهر.

> الفائدة على أنواع القروض كلها ربًا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي

والدراسة التي قام بها اقتصادية بحتة، وهي في مجال تخصصه، وتدور حول رؤية اقتصادية لتحريم الربا، والبحث مستفيض، يثبت بطريقة نظرية وتطبيقية علمية سوء نظام الفائدة؛ ونكتفي هنا بذكر النتائج التي ذكرها في نهاية بحثه.

تحدث الدكتور العوضي عن نتائج دراسته فقال:

ما هي النتائج التي يمكن الوصول إليها من الدراسة التي قدمتها؟

- أوجز فيما يلي ما أعتقده يمثل نتائج الدراسة.

أولاً: ما هو موضوع هذا البحث؟

أرجو أن تكون هذه الدراسة قد أثارت فينا الاهتمام بما أسميه رؤية اقتصادية لتحريم الربا:

وهنا أذكر أن الاهتمام في دراسة تحريم الربا كان يتجه دائمًا إلى الدراسات الفقهية، بتعريفاته الواسعة التي نعرفها في الفقه الإسلامي، وكان يظهر أحيانًا في الدراسة بعض الآراء التي تصنّف على أنها بحث عن عناصر اقتصادية لهذا التحريم، ولكن تقييمي لها أنها كانت آراء متفرقة، ولم تكن منصبة كلية على العنصر الاقتصادي الذي هو موضوع الدراسة التي قدمتها هنا؛ لذلك فإني أرجو أن يُنظر إلى دراستي على أنها تجميع وربط للعناصر الاقتصادية في تحريم الربا.

ثانيًا: من نخاطب بهذه الدراسة؟

أخاطب بهذه الدراسة أكثر من فئة: أخاطب بها أولاً جماعة الفقهاء الذين يهتمون بدراسة المعاملات الربوية، وهؤلاء فئتان: فئة محافظة، وهم الفقهاء الذين لا يحاولون إعادة النظر في بعض المعاملات الربوية؛ استجابةً للضغوط الاقتصادية، أقدم إلى هؤلاء الدليل الاقتصادي الذي عرضته هنا، ومن باب الاستطراد أذكر أنني مع هذه الفئة في تحريم الربا.

والفئة الثانية هم الفقهاء الذين ينظرون في بعض المعاملات العصرية، والتي أعتقد أن فيها ربا، ولكنهم يناقشونها فيما يعتقدون أنه يمثل الوعاء

الدراسات السابقة أثبتت أن إلغاء الاقتصاد الربوي ليس فيه خطورة، بل إن الدراسة الاقتصادية تقول: إن إلغاء الاقتصاد الربوي هو ضرورة اقتصادية وهو علاج اقتصادي حتمي

الاقتصادي للعصر الذي نعيشه، وربما يكون في خاطرهم أنهم بذلك يجعلون الإسلام أقدر على العيش مع الحياة الاقتصادية، وإلى هؤلاء أقدم هذه الدراسة لعلهم يراجعون كثيرًا من المقولات الاقتصادية أو غيرها التي اعتقدوا فيها، والرسالة الموجزة التي أوجهها إليهم هي أن:

الاقتصاد يرى أن الربا شر

أخاطب بهذه الدراسة أيضًا جماعة الاقتصاديين، وهم الذين يرتبطون بما نسميه الاقتصاد الوضعي، لقد أسمعت هؤلاء في هذه الدراسة بعض ما يعرفونه، وفي رأيي أن موقف هؤلاء الاقتصاديين من تحريم الربا كان به غموض وتعقيد؛ ذلك أن ما بدا منهم أنه اعتراض على تخليص الاقتصاد من المعاملات الربوية فهم أن هذا الاعتراض يستند إلى مقولات اقتصادية، ولكنهم لم يحددوا طبيعة هذه المقولات الاقتصادية.

والرسالة التي أوجهها إليهم هي أن هذا البحث ناقش مقولات اقتصادية هم يعرفونها.

وهكذا نحن الآن نشترك في المعرفة الاقتصادية، وعلى جماعة الاقتصاديين الآن أن يتقدموا معنا في الاهتمام بإقامة الاقتصاد غير الربوي، ونحن وهم الآن نملك معرفة اقتصادية مشتركة.

أخاطب بهذه الدراسة أيضًا ما أسميه الفرد العادي المسلم، وفي رأيي أن هذا المسلم بدا أحيانًا أنه عنصر ضاغط علينا ونحن نبحث تحريم الربا، وقد يكون هذا الشخص أعلن ما يمثل ضغطًا علينا، أو كان تقييمنا نحن للواقع الاقتصادي الذي يعيش ويتعامل فيه، هذا التقييم مثَّل ضغطًا علينا.

وأوجه رسالة إلى هذا المسلم: قصدت بهذا البحث أن أدعم إيمانك بالإسلام ككل، ثم بمنهجه في الاقتصاد، وذلك بتقديم هذه الدراسة الاقتصادية لتحريم الربا بجانب ما تعرفه الدراسة النقلية، وما أؤكده لهذا المسلم العادي أن:

الاقتصاد الربوي شر عليه

وأن هذا المسلم العادي سوف ينهض ويتحمل المسئولية معنا وذلك باختياره معاملات اقتصادية غير ربوية.

أخاطب بهذه الدراسة أيضًا من بيدهم مسئولية القرار الاقتصادي في المجتمعات الإسلامية، وهؤلاء لم نبذل المجهود الكافي في مخاطبتهم بالاقتصاد الإسلامي، والرسالة التي أوجهها إلى هؤلاء أن:

الاقتصاد الربوي شر

وليس هذه مقولة الاقتصاديين المرتبطين بالاقتصاد الإسلامي وحدهم، وإنما هي أيضًا مقولة من يرتبط بالاقتصاديات الوضعية، وأنا على يقين إذا استطعنا - نحن الذين نهتم بالاقتصاد الإسلامي - أن نضع الدراسة الاقتصادية المسئولة والواعية عن تطبيق الاقتصاد غير الربوي ومساوئ الاقتصاد الربوي فإن استجابة المسئولين عن القرار الاقتصادي سوف تكون نتيجة حتمية.

ثالثًا: هل دراستي غير مسبوقة؟

عرضت في هذه الدراسة معلومات اقتصادية وسجلت بشأنها مواقف لي ونتائج عليها، وسؤالي هل دراستي غير مسبوقة، يمكن أن يتجزأ إلى أكثر من سؤال.

السؤال الأول: ماذا يقول الاقتصاديون عما قلته اقتصاديًا؟

إن ما قلته عن تحليل في الدراسة قال به الاقتصاديون، وسجلته الكتب الاقتصادية، والدراسات الاقتصادية التطبيقية.

ما قلته عن خروج النظرية الاقتصادية عن ربط الادخار والاستثمار بالفائدة قال به الاقتصاديون.

ما قلته عن عدم فاعلية الفائدة لتحريك المتغيرات الاقتصادية في الاقتصاديات المختلفة هو نتيجة دراسة تطبيقية لصندوق النقد الدولي وللبنك الدولي للإنشاء والتعمير.

ما قلته عن أن علاج الأزمة الاقتصادية ألزم الاقتصاديين بتحييد دور الفائدة في الاستثمار، أي عدم جعل الاستثمار مرتبطًا بمعدل الفائدة، هذا القول قال به الاقتصاديون.

وهكذا ما قلته اقتصاديًا هو موثق في الكتب والأبحاث والدراسات الاقتصادية، وهكذا فلم آت بجديد في الدراسات الاقتصادية من هذه الرؤية.

وإذا كنت لم آت بجديد فيما سجلته اقتصاديًا؛ فما هو الجديد الذي أتت به دراستي؟ وهذا هو السؤال الثاني.

الجديد هو أنني تقدمت بالدراسة من مجرد تسجيل الانتقادات على الاقتصاد الربوي إلى تقديم البديل لهذا الاقتصاد، إن الاقتصاديين الذين انتقدوا فاعلية الفائدة كان انتقادهم به ثغرتان:

الثغرة الأولى: أنهم ساقوا هذه الانتقادات مبعثرة ومفرقة وغير مربوطة معًا، وقد عالجت في دراستي هذه الثغرة، فقدمت دراستي عن معدل الفائدة في منهج شمولي وكلي لهذا الموضوع، وقد أتاحت لنا هذه الرؤية الشمولية أن نحكم على

الاقتصاد الربوي كله.

الثغرة الثانية: التي كانت في عمل الاقتصاديين: هي أنهم - مع تسجيلهم للانتقادات على الفائدة - لم يضعوا الاقتصاد الربوي كله موضع التساؤل، ولهذا لم يقدموا البديل.

أما دراستي فقد أتاحت لهذه النظرية الكلية أن تضع الاقتصاد الربوي كله موضع تساؤل. ثم إن ارتباطي بالاقتصاد الإسلامي جعلني أقدمه كبديل للاقتصاديات الربوية.

ولهذا تكون نتيجة تطبيق الاقتصاد الإسلامي أنه يعطينا اقتصادًا ليست به عيوب الاقتصاد الربوي.

هل هناك جديد آخر في دراستي؟

في الجزء الثاني من الدراسة حاولت أن أستخلص معاني اقتصادية للمنهج الإسلامي في تشغيل رأس المال، وما قلته في الفقرة الثالثة عن منهج الإسلام في تشغيل رأس المال، واستهداف الإنتاج في هذا المنهج، ثم ضمان تحقيق تقديم اقتصادي حقيقي بهذا المنهج هو - كما أقول عنه - البحث عن عناصر اقتصادية لحكم منع المعاملات الربوية وإباحة معاملات أخرى.

رابعًا: ماذا قالت دراستي باختصار؟

إن أهم النتائج التي تسجلها دراستي هي:

١- أن التحليل الاقتصادي قد تخلى عن الفائدة، ويعني ذلك أننا في مجال التحليل الاقتصادي النظري لا نرتبط بالفائدة، وإذا أشرنا إليها فإن ذلك إنما يجيء في تعليم المعلومة الاقتصادية.

٢- أن الاقتصاديات حين تواجه أزمة اقتصادية، فإن الاقتصاديين لا يزيدون عن المطالبة بإلغاء الفائدة، وقد حدث هذا لمواجهة أكبر أزمة اقتصادية مرت بالعالم الرأسمالي، وكان ذلك في عام ١٩٣٠م.

٣- أنه ثبت أن اقتصاديات البلاد لا تستجيب فيها المتغيرات الاقتصادية للمتغيرات في الفائدة، ويعني ذلك عدم فاعلية الفائدة في هذه الاقتصاديات.

٤- أثبتت الدراسات التطبيقية أن رءوس الأموال التي تتعامل بالربا تنقص قيمتها الحقيقية، وثبت ذلك في الدراسات التي عُملت عن الادخارات النفطية وهي الدراسة التي أشرت إليها، وقد اقترح الاقتصاديون أنفسهم أنه لضمان عدم تناقص القيمة الحقيقية لرءوس الأموال هذه أن يكون أسلوب استثمارها هو المشاركة، وهم - بذلك - وصلوا إلى ما قال به الإسلام منذ خمسة عشر قرنًا.

٥- استنتجنا في الدراسة عناصر اقتصادية للمنهج الإسلامي في تشغيل رأس المال، وهي عناصر تجعل الاقتصاديات التي تُدار وفق المنهج الإسلامي في تشغيل رأس المال تتقدم تقدمًا اقتصاديًا حقيقيًا.

خامسًا: هل هناك خطورة في إلغاء الاقتصاد الربوي؟

أثبتت الدراسات التطبيقية أن رءوس الأموال التي تتعامل بالربا تنقص قيمتها الحقيقية، وثبت ذلك في الدراسات التي عُملت عن الادخارات النفطية

إجابة هذا السؤال أن الدراسات السابقة أثبتت أن إلغاء الاقتصاد الربوي ليس فيه خطورة، بل إن الدراسة الاقتصادية تقول: إن إلغاء الاقتصاد الربوي هو ضرورة اقتصادية وهو علاج اقتصادي حتمي.

وفي تقديري أن إجابة هذا السؤال تتطلب أن نتقدم إلى بحث جانب من جوانب مشكلة مناقشة تطبيق الاقتصاد الإسلامي، إننا نسمع من يقول: إنه لا يمكن إلغاء الربا في الاقتصاد المعاصر، وسبب ذلك هو الظن بأن إلغاء الربا يعني إلغاء المؤسسات الاقتصادية التي تُدار من خلالها الحياة الاقتصادية، وذلك مثل البنوك، وفي رأيي أن هذه مغالطة ومغالطة خطيرة، ذلك أن إلغاء التعامل بالربا لا يعني إلغاء الجهاز المصرفي على سبيل المثال. والتجربة تقول لنا ذلك، لقد قامت الآن بنوك إسلامية تؤدي جميع الوظائف التي تؤديها البنوك، ولكنها ألغت التعامل بالربا، لذلك أرى أنه يجب أن نحثوا التراب في وجه من يقول: إن إلغاء الربا يعني توقف الحياة الاقتصادية؛ لأنه بذلك يكون مغالطًا.

لكن هناك - في موضوع إلغاء الاقتصاد الربوي- جانبًا يتعلق بالمعاملات الاقتصادية الخارجية، وأعرف أن هذه واحدة من كبريات المشاكل التي تواجه البنوك الإسلامية.

وقد لا أملك إجابة عن ذلك الآن، لكني أطرح سؤالاً: لماذا لا نقيم نحن المسلمين نظامًا مصرفيًا يعمل على مستوى العالم الإسلامي، ويربط البنوك الإسلامية بعضها ببعض، ويكون في موقف الند للند بالنسبة للبنوك الأجنبية؟

سادسًا: هل هناك صعوبات في إلغاء الربا؟

تستلزم إجابة هذا السؤال أن نناقش موضوعات كثيرة؛ فسؤال خطورة إلغاء الربا هو نفس سؤال صعوبات إلغاء الربا، فكلاهما سؤال عن علاقة اقتصاديات البلاد الإسلامية باقتصاديات البلاد الأجنبية، وخاصة العلاقة مع البنوك، وأعتقد - كما كشفت الملاحظة - أن ذلك يمثل واحدًا من أهم أو أخطر التحديات أمام تطبيق الاقتصاد الإسلامي وإلغاء الاقتصاد الربوي.

وللحديث بقية في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.



باب الأسرة

الشباب الحائر.. ألم بلا أمل

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

فقد أرسل إليَّ أحد الشباب هذه الرسالة التي تعبر عن الواقع الأليم المر، والمعاناة الخطيرة، التي يعيشها كثير من بيوت المسلمين في هذا الواقع المرير، إلا من رحم الله تعالى، جهل وحمق يُمَارس بلا وعي ولا وازع، ولا علم ولا هدى ولا كتاب منير، تسبب في الانحراف والتشتت، والكراهية والتمزق، والكآبة والتفرق، وانتهاك الأعراض وارتكاب الفواحش، مما يجلب غضب الجبار جل شأنه، الذي كتب المعيشة الضنك على من عصوه وخالفوا أمره، واتبعوا أهواءهم وابتعدوا عن شرعه.

هذا الواقع السيئ نعيشه ونعانيه ونراه صباح مساء، مما جعل أهل المعاناة من هؤلاء الشباب، وينفثون نفثة المصدور، ويزفرون زفرة المقهور، ويُخرجون ما ضاقت به الصدور:

يقول الشاب: مما لا شك فيه أن الزواج أصبح أمرًا عسيرًا صعب المنال، لا يستطيع الشاب أن يصل إليه إلا بعد أن يُطلب منه المستحيل الذي لا تقدر على تحمله الجبال الرواسي، فأصبح الشاب يتقلب في موجات من الفتن تعصف به ولا يقدر على تحملها؛ لأن الفتن له بالمرصاد ليلاً ونهارًا، وهو يسأل نفسه هذا السؤال المتكرر: أين المفر ؟ وكيف النجاة؟!

فلا يجد سوى المعصية، طريقًا سهلاً لتلبية بغيته وهدفه، والتي تتمثل في الزواج العرفي، ومن هنا تعلو الصرخات من كل جانب ؛ صرخات الآباء والأمهات والشباب والفتيات، وصدق المعصوم ﷺ حينما قال: «ما انتشرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها، إلا انتشرت فيهم الأوجاع والأسقام التي لم تكن في أسلافهم». [ابن ماجه ٤٠١٩، وحسنه الألباني].

إذن ما الحل لهذه المشكلة، والكارثة المخجلة التي عصفت بالأمة كالريح العقيم، التي تدمر كل ما يقابلها؟

وقبل أن نتعرف على الحلول لا بد أن نتعرف على الأسباب التي صنعت هذه المشكلة وحالت بين الشباب والزواج:

١- البعد الحقيقي عن المنهج الرباني (الكتاب والسنة)، والبعد عن هدي السلف الصالح.

أصبح العرف المخالف للشرع هو الإله الذي يُعبد من دون الله، فنجد أن العرف مقدمٌ على كل شيء، فلم يثق الكثيرون في المنهج الرباني بلسان حالهم وواقعهم، في حين صدقوا العرف المزيف.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

٢- اهتمام الناس بالماديات:

فنجد أن كثيرًا من الآباء والأمهات يفضِّلون الشباب ذوي المناصب العليا، والحالة المادية المرتفعة، وإن كان هذا الشباب لا يركع لله ركعة واحدة، فالمهم هو ضمان مستقبل هذه الفتاة (بزعمهم)، حتى لو كانت مع شخص تارك للصلاة.

٣- عدم الرغبة في الشباب المسلم الملتزم بدينه:

وذلك لأن الآباء والأمهات يفضلون من كان على هواهم ويسير في فلكهم، حتى لو كان مخالفًا للشرع، والشاب الملتزم بدينه لن يمكِّنهم من تحقيق ما تأمرهم به أحلامهم، وما تدعوهم إليه أهواؤهم، فلا يصلون إلى ما يريدون من إقامة الأفراح الماجنة، والإسراف والتبرج والسفور.. إلخ.

٤- المغالاة في المهور:

ولعل هذا هو أخطر وأهم هذه الأسباب، فعندما يتقدم الشاب إلى الفتاة يجد أمامه مجموعة من اللوائح والشروط التي يجب عليه أن يُنفذها دون أي وجه من الاعتراض، ومنها:

أ- شبكة تصل إلى عشرة آلاف جنيه، هذا مع الذين يُرجى فيهم الصلاح، فكيف بغيرهم، إلا من رحم الله، وقليلٌ ما هم.

ب- ثلاث أو أربع غرف (نوم، أنتريه، أطفال، سفرة)، ولا بد أن يكون الجهاز من أماكن غالية الثمن كالمعارض الفخمة، ولا بد أن تطَّلِع المخطوبة على (الكتلوج) لتختار منه ما تشاء؛ بغض النظر عن التكلفة، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه، أما إذا كان دون ذلك فإن الأمر مصيره إلى الفشل. واللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرًا منها.

وقد يُكلف الشاب بأمور أخرى ؛ كـ: (الستائر، والسجاجيد... إلخ).

جـ- إقامة الفرح في إحدى القاعات باهظة التكاليف.

د- شقة تمليك، وإن تعذر فعليه أن يُؤجر شقة مرتفعة الإيجار.

هـ- إذا كان هذا الشاب في وظيفة يتقاضى منها راتبًا بسيطًا، فإن أهل العروس يطالبون بوظيفة أخرى بمرتب عالٍ، وذلك بحجة ضمان مستقبل هذه الفتاة.

و- ولا يسلم الأمر أيضًا من أن أهل الزوج في كثير من الأحيان يكلفون والد المخطوبة فوق ما يطيق، وكأنه هو المكلف أن يدفع المهر بدلاً من الزوج، حتى يصل في أغلب الأحوال ما يُدفع للزوجة أضعاف ما يدفعه الزوج. ألم أقل: إن الزواج أصبح أمرًا صعب المنال؟!

٥- مخالفة الأقوال للأفعال:

بمعنى أنه عندما يتقدم الشاب للزواج؛ فإن أهل العروس يقابلونه بأحلى التحيات، ويستقبلونه بالقرآن والسنة والأحاديث، حتى يظن هذا الشاب بأن عصر الصحابة رجع مرة أخرى، فتجد الأقوال التي صارت ديباجة محفوظة خالية من المعنى والعمل؛ ومنها:

- قوله ﷺ : «أقلهن مهرًا أكثرهن بركة».

- وقوله ﷺ: «تُنكح المرأة لأربع.. فاظفر بذات الدين». [البخاري ٥٠٩٠].

فيخرج الشاب بعد أول مقابلة غير مصدق نفسه، وهو يظن أن الأمر سهل، وأن هناك نوعية من الناس يسيرون على نهج النبي ﷺ في تيسير أمر الزواج، وعند المقابلة الثانية وعندما يتأكد أهل العروس في رغبة هذا الشاب الحقيقية في الزواج بابنتهم يُنحُّى الكتاب والسنة إلى العرف المزيف، فيقولون:

- العرض يا ابني لا يُهْدَى.

- هي ليست أقل من بنت عمها، أو بنت خالها.

- عليك تنفيذ اللوائح السابقة وإلا كل شيء قسمة ونصيب.

- لا بد من إقامة الفرح في إحدى القاعات؛ لأنها ليلة العمر.

فلا يجد الشاب أمامه إلا أن يسحب نفسه من هذه المعركة القائمة من طرف واحد، والتي لا قدرة له عليها، فينتكس رأسًا على عقب، ويعود القهقرى، وتزداد حسرته ويحترق قلبه؛ لأنه يجد كل طريق للعفة أمامه مسدودًا.

٦- تشدد كثير من الفتيات في طلباتهن الشاقة صعبة التحقيق:

فكثيرًا ما تكون البنت من الريف، وتشترط أن تعيش في المدينة، فتكون النتيجة عزوف الشاب عنها فيتأخر بها سن الزواج، فلا تفيق إلا وهي فوق سن الثلاثين مع رغبتها

الحقيقية في الزواج، ولسان حالها يقول: «يا ليتني...».

وفي الغالب لا تجد هذه الفتاة إلا أن تكون زوجة ثانية، ودرجة ثانية.

٧- عدم رضا الفتاة بما قسمه الله لها:

فكل متطلباتها أمور دنيوية من وجود فتى أحلام تتوفر فيه عدة مواصفات وهي (شاب وسيم، لا يتجاوز الثلاثين من عمره، وظيفة مرموقة، شقة فاخرة، تجهيزات فاخرة وعالية الجودة... إلخ). ولم تذكر الفتاة أمرًا من أمور الدين (شاب حسن الخلق، شاب متدين، شاب يصلي، حافظ للقرآن.. إلخ). فهذا لا يهم، إنما المهم تلبية هذه المتطلبات الدنيوية.

وقد قيل: الدنيا جيفة وطلابها كلاب.

النتائج المترتبة على صعوبة أمر الزواج

١- انتشار الزواج العرفي.

٢- تأخر سن الزواج بالنسبة للشباب ذكورًا وإناثًا إلى ما بعد سن الثلاثين، إن وجد.

٣- لجوء الكثير من الشباب إلى ممارسة الفاحشة والرذيلة؛ لأنها السبيل الوحيد الرخيص بعدما صار الزواج مطلبًا صعبًا.

٤- انتشار التبرج من أجل أن تجد الفتاة من يتقدم لها وتعجبه.

٥- عدم غض البصر والاطلاع على كل ما يمت بالصلة بأمر الجنس.

٦- وجود الكثير من حالات الاغتصاب حتى في الأقارب والمحارم.

٧- وجود شباب فاقد الثقة في نفسه وأسرته ومجتمعه الذي كان سببًا رئيسًا في عدم تحقيق آماله، فتنتشر الأمراض النفسية بين الشباب.

٨- انتشار الحقد والحسد والغل والغيرة بين الشباب غير المتزوج والشباب المتزوج.

٩- كثرة اللقطاء من المواليد الذين ينشأون في المجتمع لا يعرفون أبًا ولا أمًا مما يسبب تحقير الناس لهم وتدميرهم.

١٠- نزول عذاب الله وسخطه وغضبه وتعرض المجتمعات الإسلامية للكوارث.

الحلول المفيدة لعلاج هذه الكارثة:

١- الرجوع إلى النبعين الشرعيين الصافيين (الكتاب والسنة).

٢- الاستفادة من سيرة السلف الصالح في أمر الزواج، وكيف كانت تعاملات الزواج بينهم.

٣- محاربة العادات والأعراف المخالفة لأمر الشرع في أيامنا هذه، والتي سبق ذكرها.

٤- عدم النظر لأهل البدع على أنهم هم الأصل والقدوة، والاقتداء بسلفنا الصالح.

٥- دور العلماء: توعية الناس من خلال المحاضرات، واللقاءات في المؤسسات المختلفة، والكتب التي تتحدث في هذا الأمر؛ حيث يُوضح فيها الأسباب والنتائج والحلول.. إلخ. وكذلك الخطباء والوعاظ يجتهدون في التحدث في هذا الأمر باستفاضة، وعدم الملل من الحديث فيها؛ وذلك لمحاربة هذه الكارثة التي كادت تعصف بالأمة وما خلفت وراءها: من الزنا، وخلط الأنساب، والزواج العرفي، والفاحشة، والرذيلة....

٦- دور الباحثين: لماذا لا تُكتب الرسائل والأبحاث العلمية والكتب في هذا الشأن ويتم توزيعها على الجامعات وعامة المسلمين.

٧- دور متصفحي الإنترنت: لماذا لا يتم نشر هذه الفكرة في كل المواقع عبر الشبكة العنكبوتية، مع توضيح الأضرار الناتجة من التغالي في أمر الزواج؟

٨- دور الآباء والأمهات: البحث عن الشباب الصالح التقي وتزويجهم، وإقامة الفرح في المسجد فقط، وذلك لأنه إذا لم تعف الفتاة نفسها في الحلال؛ فإنها لا تجد سوى الحرام هو السبيل، والسبب في ذلك تعنت الآباء، ففي هذا الوقت لا تنفع الكنوز والمهور إذا انتُهكت الأعراض، وبقيت الحسرة والندامة.

٩- دور رجال الأعمال: لهم دور مهم جدًا وهو: أن يتعاون مجموعة كبيرة من رجال الأعمال لإقامة مشروع يكون في ميزان حسناتهم، وليكن على سبيل المثال مشروع تحت اسم «جمعية التيسير في أمر الزواج».

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، في الدين والدنيا والآخرة.

وفاة شيخ الأزهر

فضيلة الشيخ الإمام/ محمد سيد طنطاوي

فقدت الأمة العربية والإسلامية واحدًا من علمائها، هو فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي، صباح يوم الأربعاء ٢٤ من ربيع الأول ١٤٣١هـ، الموافق ١٠ / ٣ / ٢٠١٠م عن عمر يناهز ٨٢ عامًا، إثر أزمة قلبية مفاجئة تعرض لها في مطار الرياض الدولي أثناء رحلة العودة إلى القاهرة.

وكان الشيخ في زيارة للمملكة العربية السعودية لحضور حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام على الفائزين بها.

مولده ونشأته: وُلد الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى بقرية سليم الشرقية مركز طما محافظة سوهاج في ٢٨ أكتوبر ١٩٢٨م.

تعليمه: تلقى الشيخ تعليمه الأساسي بقريته، وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٤٤م، وبعد انتهاء دراسته الثانوية التحق بكلية أصول الدين، وتخرج منها سنة ١٩٥٨م.

تدرجه في العمل: عمل إمامًا وخطيبًا بمساجد وزارة الأوقاف، ثم حصل على درجة التخصص (الماجستير) سنة ١٩٥٩م، ثم حصل على شهادة العالمية (الدكتوراه) في التفسير والحديث بتقدير ممتاز في ٥ سبتمبر ١٩٦٦م.

عُين مدرسًا بكلية أصول الدين سنة ١٩٦٨م، ثم انتُدب للتدريس في ليبيا لمدة ٤ سنوات. ثم انتقل للعمل كعميد لكلية الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم عميدًا لكلية أصول الدين بأسيوط سنة ١٩٧٦م، ثم عميدًا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين سنة ١٩٨٥م، ثم مفتيًا لجمهورية مصر العربية في ٢٨ أكتوبر ١٩٨٦م، ثم عُين شيخًا للأزهر الشريف في ٢٧ مارس ١٩٩٦م.

من مؤلفاته:

١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، يقع في أكثر من خمسة عشر مجلدًا، وقد كتبه فضيلته في بضعة عشر عامًا، وكان منهج فضيلته البدء في شرح الألفاظ القرآنية شرحًا لغويًا مناسبًا، ثم بيان سبب النزول إن وجد وكان مقبولاً، ثم ذكر المعنى الإجمالى للآية أو الآيات، والأحكام الشرعية، مستدلاً بأقوال المحققين من علماء السلف والخلف.

٢- بنو إسرائيل في القرآن الكريم يقع في مجلدين.

٣- معاملات البنوك أحكامها الشرعية.

٤- الدعاء معناه وآدابه.

٥- السرايا الحربية في العهد النبوي.

٦- القصة في القرآن الكريم.

٧- آداب الحوار في الإسلام.

٨- الاجتهاد في الأحكام الشرعية.

والرجل رغم اختلافنا معه إلا أنه كان يمثل جهة عالمية هي الأزهر الشريف، الذي يمثل منارة للمسلمين في العالم أجمع، وجماعة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام، وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتقدم بخالص العزاء في فقيد الأمة، وتدعوا الله العلي القدير أن يرحمه رحمة واسعة، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى. وإنا لله وإنا إليه راجعون.



عيسى ابن مريم

- عليه السلام -

وصفه - عليه السلام - ومعجزاته

الحلقة الرابعة

الحمد لله الواحد الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين. أما بعد:

فقد تحدثنا في المقالات الثلاث السابقة عن نسب عيسى عليه السلام، ومولده، وعن أمه الطاهرة البتول، وقبل أن نتحدث عن دعوته ورسالته، رأينا أن نتحدث عن أوصافه ومعجزاته كما جاءت في كتاب الله، وفي سنة رسوله محمد ﷺ.

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

أولاً: وصفه وجانب من معجزاته - عليه السلام - في القرآن الكريم:

أ- قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥، ٤٦].

ب- وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٨، ٤٩].

جـ- وقال الله سبحانه على لسان عيسى ابن مريم، وهو في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٠- ٣٢].

د- وقال الله جل وعلا: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

من خلال هذا العرض القرآني العظيم يتبيَّن لنا ما يلي:

- (المسيح) لقبه، ومن معانيه الصدِّيق، أو الملك الشريف، وقيل: لأنه كان يمسح على المريض فيبرأ بإذن الله، وقيل: هو الممسوح بالزيت، والله أعلم.
- (واسمه عيسى) وهو مُعرَّب (أيشوع) أو (يشوع)، وهو السيد.
- (وابن مريم) كُنيته.
- وهو كلمة الله، عبده ورسوله، وسُمِّي كلمة الله؛ لأنه كان بالكلمة من الله، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل؛ لأن حالته وطريقة خلقه خارجة عن الأسباب البشرية المعتادة، وسماه الله أيضًا (روحًا)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، أي روح من خلقه، كما قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ

المسيح عليه السلام ليس إلا رسولاً مثل جميع الرسل الذين سبقوه، وأيَّدهم الله بالمعجزات، وأمه صديقة، برَّة طاهرة زكية، وليست من الملائكة، ولا من روح القدس، والدليل على ذلك أنهما كانا يأكلان الطعام

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

أي: وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا من خلقه - سبحانه -. وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: «أرسل الله جبريل - عليه السلام - إلى مريم فنفخ في جيب درعها - فتحة ثوبها - فولجت فيها تلك النفخة الزكية من ذلك الملك الزكي، فأنشأ الله منها تلك الروح الزكية، فكان روحانيًا نشأ من مادة روحانية، فلهذا سُمِّي روح الله». اهـ.

- قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، أي: له الوجاهة في الدنيا؛ فجعله الله من أولي العزم من الرسل، أصحاب الشرائع الكبار والأتباع، ونشر الله له من الذكر ما ملأ بين المشرق والمغرب، وفي الآخرة يكون من أصحاب الشفاعة مع إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وله عند الله المنزلة العالية في الجنة فهو من المقربين.

- ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ كلامه في المهد آية عظيمة؛ ينتفع بها المؤمنون، وتكون حجة على المعاندين، أنه عبد الله ورسوله، وأن أمّه بريئة مما رماها به المكذبون.

وكلامه وهو كهل دعوةُ الناس لما فيه خيرهم وصلاحهم، كما هي دعوة سائر المرسلين.

- ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين يؤدون حقوق الله وحقوق عباده كاملة غير منقوصة.

- ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾. الكتاب: الخط والكتابة.

والحكمة: العلم الصحيح، والإصابة في الأمور، وفهم أسرار الشرع. والتوراة التي أُنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى.

- ورسولاً إلى بني إسرائيل مُؤَيَّدًا بالمعجزات والآيات الدالة على صدقه، ومنها:

١- جعل الطين طيرًا.

٢- شفاء الأعمى والأبرص.

٣- إحياء الموتى.

كل ذلك بإذن الله، فالله - سبحانه - هو الذي أمدَّه بهذه الآيات؛ تصديقًا لدعوته ورسالته، وعلَّمه الله من علم الغيب ما يستطيع أن يخبرهم عن أسرار بيوتهم، مما يأكلون ويدخرون، وقد حرص القرآن الكريم أن يكرر عبارة (بإذن الله) للتأكيد على أن المسيح لا يفعل شيئًا من عنده، بل هو من عند الله، وبإذن الله، وهذه العبارة (بإذن الله) جاء مثلها أو قريبًا منها في إنجيل يوحنا (٥ / ٣٠) إذ يقول المسيح - عليه السلام -: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا». وقريب من ذلك ما جاء في يوحنا (٨ / ٤٠) من قوله: «وأنا إنسان قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله».

ومع ذلك ضل من ضلَّ، وقال: إن عيسى هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة -تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا-؛ لأن الله أجرى على يديه هذه الآيات، وقال لهم: إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين، أي مؤمنين بأني عبد الله ورسوله إليكم، وأن الله أجرى على يدي هذه المعجزات لتكون دليلاً لكم، ولا تكون سبب كفركم.

- ومن أوصافه أيضًا أن الله جعله مباركًا، كثير الخير والنفع للناس، أينما ذهب أو حلّ، ومن هذه البركة: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والبر بأمه.

ولم يجعله الله متكبرًا عاصيًا، بل جعله رحيمًا ودودًا.

- والمسيح عليه السلام ليس إلا رسولاً مثل جميع الرسل الذين سبقوه، وأيَّدهم الله بالمعجزات، وأمه صديقة، برَّة طاهرة زكية، وليست من الملائكة، ولا من روح القدس، والدليل على ذلك أنهما كانا يأكلان الطعام.

وهذه خصائص الضعف البشري، فالذي يحتاج للطعام، ثم يحتاج إلى لوازم أكل الطعام -وسكت عنها القرآن؛ لأنها تُفهم من السياق؛ حيث إن أسلوب القرآن من السمو والرفعة فلم يذكر لوازم الطعام-

وهي دخول الخلاء، وما يترتب على ذلك، ولما كان القرآن الكريم كلام الله؛ فقد ترفَّع عن ذكر هذه الأمور تصريحًا، وإن فُهمت تلميحًا، فكيف يسقط هؤلاء القوم في الهوّة السحيقة، ويقولون عن عيسى إنه الله؟! وهل يليق بالله أن يمشي على الأرض، ويدخل الأسواق، ويأكل الطعام، ويدخل الخلاء كيف يكون هذا إلهًا؟!! - سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

ثانيًا: ما جاء في السنة النبوية من ذكر صفات المسيح:

يمكننا أن نقسِّم أوصاف المسيح - عليه السلام- التي وردت في أحاديث رسول الله ﷺ إلى قسمين:

أ- صفات خَلْقية.

ب- صفات خُلُقية.

أ- الصفات الخَلْقِية: وهي التي رآها النبيُّ ﷺ بعينه ليلة أُسري به.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ؛ فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَى رَجُلَيْنِ أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ؛ فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...». [البخاري ٥٩٠٢]

وعن ابْنَ عَبَّاس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلاً آدَمَ طُوَالاً جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلاً مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ...» [البخاري ٣٢٣٩].

ب- الأوصاف الخُلُقِية:

وقد تقدم ذكرها أو ذكر معظمها في القرآن، ومما جاء في حديث رسول الله ﷺ ما يلي:

عَنْ ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، ثُمَّ قَرَأَ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾؛ فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨]. [البخاري ٣٤٤٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلاَّ وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ. فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي». [البخاري ٣٤٤٤، ومسلم ٦٢٨٦].

فقد وصفه النبي ﷺ بغاية الصلاح والورع والتقوى، ثم وصفه بالعبودية لله، وبغاية التسليم لله سبحانه وتعالى، والتفويض له عز وجل.

وفي ذكر النبي ﷺ لصفات عيسى عليه السلام، وصفات موسى، وصفات إبراهيم وغيرهم من الأنبياء دليل على صدق النبي ﷺ فيما أخبر به عن ربه، ودليل كذلك على أن مسيرة الأنبياء واحدة من لدن آدم حتى ختمهم الله بمحمد ﷺ، فلا نبي بعده، وأنهم جميعًا رسل الله، ومن كفر برسول منهم فقد كفر بالله الذي أرسله.

وأختم لقائي معكم اليوم بالإشارة إلى معنى الوفاة التي جاءت في قوله تعالى حكاية عن عيسى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ معناه: فلما رفعتني إليك، وأنهيت مهمتي في الأرض، وليس معنى الوفاة هنا الموت، فعيسى لا يزال حيًّا، ولن يموت حتى يُبعث مرة أخرى إلى الأرض ثم يموت فيها.

وإلى مزيد بيان في هذا الشأن وغيره، في العدد القادم بإذن الله، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد. والحمد لله رب العالمين.

كيف يسقط هؤلاء القوم في الهوّة السحيقة، ويقولون عن عيسى إنه الله؟! وهل يليق بالله أن يمشي على الأرض، ويدخل الأسواق، ويأكل الطعام، ويدخل الخلاء كيف يكون هذا إلهًا؟!! - سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا




الصدق



طريقك إلى الجنة



إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد..

فقد أمر الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين؛ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

وخص أهل نعمته ومنته بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم الرفيق الأعلى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

وهم أهل البر، فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

وعن عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ ويتحرى الصدق حَتَّى يُكْتَب عند الله صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ ويتحرى الكذب حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا». [متفق عليه].

وهم أحسن الناس أخلاقًا؛ فالبر حسن الخلق.

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٤].

قال ابن القيم: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين: منزلة الصدق، وهي منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تُرَدّ صولته، ومن نطق به عَلَت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات: تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين. [مدارج السالكين].



وأعلى مراتب الصدق: مرتبة الصديقية، وهي كمال المتابعة للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩].

قال ابن كثير: وصف الله تعالى المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون.

وقال السعدي: والإيمان عند أهل السنة: هو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فيشمل ذلك جميعَ شرائع الدين الظاهرة



والباطنة، فالذين جمعوا بين هذه الأمور هم الصديقون أي: الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء.

فدلت هذه الآية على علو مرتبة الصديقين، وهم الكُمَّل من أهل الإيمان، فهم فوق الشهداء وسائر المؤمنين، ودون النبيين.

قال ابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾: الصدق في قوله وعمله وحاله؛ فالصدق: في هذه الثلاثة: فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها. والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد. والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة؛ فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به: تكون صديقيته، ولذلك كان لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه وأرضاه- ذروة سنام الصديقية، سمي الصدِّيق على الإطلاق، والصدِّيق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق.

وقد أمر الله تعالى رسوله: أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق؛ فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠] وأخبر عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤- ٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق.

وحقيقة الصدق في هذه الأشياء: هو الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة.



فمدخل الصدق ومخرج الصدق: أن يكون دخوله وخروجه حقًا ثابتًا بالله، وفي مرضاته بالظفر بالبُغية وحصول المطلوب ضد مخرج الكذب ومدخله، الذي لا غاية له يوصل إليها، ولا له ساق ثابتة يقوم عليها كمخرج أعدائه يوم بدر، ومخرج الصدق كمخرجه هو وأصحابه في تلك الغزوة.

وكذلك مدخله المدينة؛ كان مدخل صدق بالله ولله، وابتغاء مرضاة الله؛ فاتصل به التأييد والظفر والنصر، وإدراك ما طلبه في الدنيا والآخرة، بخلاف مدخل الكذب الذي رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب؛ فإنه لم يكن بالله ولا لله، بل كان محادة لله ورسوله ﷺ، فلم يتصل به إلا الخذلان والبوار، وكذلك مدخل من دخل من اليهود المحاربين لرسول الله حصن بني قريظة؛ فإنه لما كان مدخل كذب أصابه معهم ما أصابهم.

فكل مدخل ومخرج كان بالله ولله وصاحبه ضامن على الله؛ فهو مدخل صدق، ومخرج صدق، وكان بعض السلف إذا خرج من داره رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أخرج مخرجًا لا أكون فيه ضامنًا عليك؛ يريد أن لا يكون المخرج مخرج صدق، ولذلك فسر مدخل الصدق ومخرجه: بخروجه من مكة ودخوله المدينة، ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل فإن هذا المدخل والمخرج من أجلّ مداخله ومخارجه، وإلا فمداخله كلها مداخل صدق، ومخارجه مخارج صدق؛ إذ هي لله وبالله، وبأمره، ولابتغاء مرضاته.

وما خرج أحد من بيته ودخل سوقه أو مدخلاً آخر إلا بصدق أو بكذب، فمخرج كل واحد ومدخله لا يعدو الصدق والكذب، والله المستعان.

وأما لسان الصدق: فهو الثناء الحسن عليه من سائر الأمم بالصدق، ليس ثناء بالكذب، كما قال عن إبراهيم وذريته من الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، والمراد باللسان ههنا: الثناء الحسن، فلما كان الصدق باللسان وهو محله؛ أطلق الله سبحانه ألسنة العباد بالثناء على الصادق؛ جزاءً وفاقًا وعبَّر به عنه.

وأما قدم الصدق: ففُسِّر بالجنة، وفُسِّر بمحمد، وفُسِّر بالأعمال الصالحة.

وحقيقة القدم ما قدموه، وما يقدمون عليه يوم القيامة، وهم قدموا الأعمال والإيمان بمحمد ﷺ، ويقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك ,فمن فسره بها أراد ما يقدمون عليه، ومن فسره بالأعمال وبالنبي ﷺ فلأنهم قدموها، وقدموا الإيمان به بين أيديهم؛ فالثلاثة قدم صدق.

وأما مقعد الصدق: فهو الجنة عند الرب تبارك

وتعالى، ووَصْف ذلك كله بالصدق مستلزم لثبوته واستقراره، وأنه حق، ودوامه ونفعه وكمال عائدته؛ فإنه متصل بالحق سبحانه كائن به وله؛ فهو صدق غير كذب، وحق غير باطل، ودائم غير زائل، ونافع غير ضار، وما للباطل ومتعلقاته إليه سبيل ولا مدخل.

ومن علامات الصدق: طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب: حصول الريبة كما جاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الصدق طمأنينة والكذب ريبة» [الترمذي ٢٥١٨، وصححه الألباني].

فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها، وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب ألبتة، لا في قوله ولا في عمله، ولا في حاله، ولاسيما كاذب على الله في أسمائه وصفاته، ونفي ما أثبته، أو إثبات ما نفاه عن نفسه؛ فليس في هؤلاء صدِّيق أبدًا، وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه بتحليل ما حرَّمه، وتحريم ما لم يحرمه، وإسقاط ما أوجبه، وإيجاب ما لم يوجبه، وكراهة ما أحبه، واستحباب ما لم يحبه؛ كل ذلك مناف للصديقية.

وكذلك الكذب معه في الأعمال: بالتحلي بحلية الصادقين المخلصين، والزاهدين المتوكلين وليس في الحقيقة منهم.

فلذلك كانت الصديقية: كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهرًا وباطنًا؛ حتى إن صدق المتبايعين يحل البركة في بيعهما وكذبهما يمحق بركة بيعهما، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا؛ فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما: محقت بركة بيعهما» [متفق عليه]. [التفسير القيم].

أفلح من صدق

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ.

قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ».

قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا، وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُ.

فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا». وفي رواية: «دخل الجنة إن صدق». وفي أخرى: «أفلح إن صدق». [متفق عليه].

الصدق في الإيمان والتوحيد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه و سلم ومعاذ رديفه على الرحل قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً؛ قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذًا يتكلوا»، وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا. [متفق عليه].

فالصدق شرط من شروط كلمة الإخلاص يتميز به المؤمن من المنافق، الصادق من المدعي الكاذب، ولهذا عده أهل العلم من الشروط السبعة الواجب توافرها في كلمة التوحيد، وهي العلم واليقين، والقبول، والانقياد، والصدق، والإخلاص، والمحبة.

وقول النبي ﷺ: «إذاً يتكلوا» دليل على أن بعض الناس قد يكتفي بالقول دون العمل، ولو صدق الله تبارك وتعالى في عقيدته وتوحيده لصدَّق عملُه قولَه.

صدق النية في الجهاد

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» [مسلم ٥٠٣٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلادَهَا؛ فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا؛ فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولاً فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا» [متفق عليه].

فطلب هذا النبي ألا يخرج معه في الجهاد إلا صادق في ترك متاع الدنيا، راغب فيما عند الله في الآخرة، ومع هذا فقد خرج معه بعض مدعي





الصدق من الراغبين في الدنيا، الطامعين في حطامها الزائل، ولهذا سرقوا من الغنيمة.

الصدق في المعاملات

عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». [متفق عليه].

فالمؤمن يعلم يقينًا أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن الإنسان لن يغادر الدنيا إلا بعد أن يستكمل الرزق المقسوم له؛ لذا فهو صادق في بيعه وشرائه وسائر تعاملاته، لا يخشى فوات الرزق، ولا يخاف دنو الأجل؛ لقول رسول الله ﷺ: « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. [البيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٤٠٦ رقم ١١٤١) والحاكم في المستدرك (٢١٣٦) وصححه الألباني في الصحيحة ٢٨٦٦].

الصدق منجاة

عن كعب بن مالك -رضي الله عنه- في حديث التوبة الطويل: «... وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ - قَالَ - فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا؛ إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، وَقَالَ اللَّهُ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ؛ فَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ؛ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ. [متفق عليه].

قالوا عن الصدق

قال ابن عباس: أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق، والحياء، وحسن الخلق والشكر.

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق؛ فإنهم جواسيس القلوب، يدخلون في قلوبكم ويخرجون من حيث لا تحتسبون.

وكان الجنيد يومًا يتكلم على الناس؛ فوقف عليه شاب نصراني متنكرًا، فقال: أيها الشيخ ما معنى قول النبي: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» [الطبراني في الكبير (٧ / ١٠٩ رقم ٧٣٦٩) وضعفه الألباني]؛ فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه إليه وقال: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام.

ويقال في بعض الكتب القديمة: إن الصدِّيق لا تخطئ فراسته.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا وإياكم الصدق والإخلاص في القول والعمل، وفي السر والعلن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



عزاء واجب

توفي يوم الأربعاء الموافق ١٠ / ٣ / ٢٠١٠م الأستاذ عبد الحميد حشيش، شقيق الشيخ علي حشيش، مدير إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، وأسرة مجلة التوحيد تتقدم بخالص العزاء للشيخ علي حشيش، داعين الله سبحانه أن يغفر له ويرحمه.



قصة عبد الحارث ابن آدم

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذه السلسلة تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت في كُتب التفسير حول الآية (١٩٠ / الأعراف)، وذلك في قوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وتسببت هذه القصة في إشكال؛ حيث جاءت في خبر مرفوع وآخر موقوف أن الآية في آدم وحواء، وزاد الإشكال أن الآية سبقها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا...﴾ [الأعراف: ١٨٩- ١٩٠].

نلاحظ أن الضمير مثنى في الآيتين «دعوا»، «ربهما»، «آتاهما»، «جعلا»، فظن الكثير من أهل التفسير أن الآية (١٩٠ الأعراف) في آدم وحواء؛ حيث قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير في علم التفسير» (٣ / ٣٠١- المكتب الإسلامي): «ذكر أهل التفسير أن إبليس جاء حواء فقال: ما يدريك ما في بطنك لعله كلب أو خنزير أو حمار، وما يدريك من أين يخرج، أيشق بطنك أم يخرج من فيك، أو منخريك، فأحزنها ذلك فدعوا الله حينئذ، فجاء إبليس؛ فقال: «كيف تجدينك، قالت: ما أستطيع القيام إذا قعدت، قال: أفرأيت إن دعوت الله، فجعله إنسانًا مثلك ومثل آدم، أتسميه باسمي، قالت: نعم، فلما ولدته سويًا، جاءها إبليس فقال: لما لا تسمينه بي كما وعدتني؟ فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فسمته عبد الحارث، برضى آدم، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ..﴾ الآية.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق الخبر الذي جاءت به القصة مرفوعًا وموقوفًا:

أولاً: متن القصة في الخبر المرفوع

رُوِيَ عن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره».

ثانيًا: التخريج

أخرجه الترمذي في «السنن» (٥ / ٢٥٠- شاكر ح(٣٠٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢ / ٥٤٥)، وأحمد في «المسند» (٥ / ١١)، والطبري في «تفسيره» (٦ / ١٤٤) ح(١٥٢٢٤)، كلهم من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب مرفوعًا.

ثالثا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة «غريب»؛ يتبين ذلك من قول الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة».

قلت: والغرابة عند علماء الصنعة تفيد أن هذا الخبر المرفوع المنسوب للنبي ﷺ لا يوجد له متابع ولا شاهد؛ حتى لا يتقول علينا من لا دراية له متوهمًا أن في الآثار التي هي من الإسرائيليات المدسوسة متابعات وشواهد؛ ليثبت بها أن آدم عليه السلام وزوجه حواء من المشركين، ولا يغتر أيضًا من قول الترمذي: «حسن غريب»، أن الخبر الذي جاءت به القصة «حسن»، فالإمام الترمذي عند علماء الصنعة متساهل في التصحيح والتحسين، كما بينا في التحذير السابق، وكما سنبرهن على عدم صحة هذه القصة التي تطعن في آدم وحواء، عليهما السلام، وهذا الخبر مسلسل بالعلل.

١- العلة الأولى: عمر بن إبراهيم: هو الذي روى هذا الخبر عن قتادة، ورواه عنه عبد الصمد بن عبد الوارث.

قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال.. القصة.

وقال الإمام الترمذي في تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث به.

ورواه الحاكم من حديث عبد الصمد مرفوعًا.

ورواه ابن جرير قال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الصمد به.

قال الإمام الذهبي في الميزان (٣ / ١٧٨ / ٦٠٤٢): عمر بن إبراهيم أبو حفص العبدي البصري عن قتادة، وعنه عبد الصمد بن عبد الوارث.

قال أبو حاتم: لا يُحتج به.

وقال ابن عدي: يروي عن قتادة ما لا يوافق عليه.

وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عنه فقال: له مناكير.

ثم أورد له الإمام الذهبي هذا الخبر الذي به هذه القصة الواهية ليبين مناكيره.

- عمر بن إبراهيم العبدي عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن النبي ﷺ قال: كانت حواء لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن عاش لها ولد سمته عبد الحارث؛ فعاش لها ولد فسمته عبد الحارث، وإنما كان ذلك وحي الشيطان.

قال الإمام الذهبي: صححه الحاكم، وهو حديث منكر كما ترى. اهـ.

العلة الثانية: قتادة بن دعامة السدوسي البصري، روى عنه هذا الخبر عمر بن إبراهيم، وقتادة أورده الحافظ ابن حجر في طبقات المدلسين في المرتبة الثالثة رقم (٢٦)، وقال: مشهور بالتدليس، وصفه به النسائي وغيره، والمرتبة الثالثة هي التي قال عنها الحافظ في مقدمة كتابه هذا: «من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع».

قلت: وهذا الخبر مما لم يصرح فيه قتادة بالسماع؛ فهو معنعن فلا يُقبل.

العلة الثالثة: الحسن البصري لم يسمع من سمرة.

قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ح٩٦): «أخبرنا يعقوب بن إسحاق فيما كتب إليَّ قال: حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي قال: قلت ليحيى بن معين: الحسن لقي سمرة؟ قال: لا».

قلت: بالرجوع إلى «تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي» في سؤالاته ليحيى بن معين رقم (٢٧٧) قال: «قلت ليحيى بن معين: الحسن لقي سمرة ؟ قال: لا». اهـ.

قلت: والحسن البصري وُلد في المدينة قبل سنتين من خلافة عمر رضي الله عنه، أي عام واحد وعشرين من الهجرة، وتوفي سنة (١١٠هـ).

وسمرة بن جندب رضي الله عنه توفي سنة تسع وخمسين من الهجرة.

قلت: يتبين من المواليد والوفيات أن الحسن البصري عاصر الصحابي سمرة بن جندب رضي الله عنه.

وتبين من قول الإمام يحيى بن معين أنه لم يلقَ سمرة.

١- ويصبح هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية من نوع «المرسل الخفي»، وهو أن يروي الراوي عمن لقيه أو عاصره ما لم يسمع منه بلفظٍ يحتمل السماع.

٢- وأما المدلس: فيروي عمن سمع منه ما لم يسمعه منه.

٣- وبهذا يتبين أن المدلس والمرسل إرسالاً خفيًا يروي عن شيخ شيئًا لم يسمعه منه بلفظ يحتمل السماع وغيره.

٤- لكن المدلس قد سمع من ذلك الشيخ أحاديث غير التي دلَّسها.

٥- على حين أن المرسل إرسالاً خفيًا لم يسمع من ذلك الشيخ أبدًا، لا الأحاديث التي أرسلها ولا غيرها، لكنه عاصره أو لقيه.

٦- قلت: ولقد بينت لطالب العلم الفرق بين التدليس والإرسال الخفي؛ لأنه بقول الإمام ابن معين في عدم لقاء الحسن البصري بسمرة، وبالتالي عدم السماع؛ مع ما بينا آنفًا من المعاصرة يصبح الخبر الذي جاءت به القصة مرسلاً إرسالاً خفيًا.

٧- والحسن البصري أيضًا مدلس؛ حيث أورده الإمام الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة الثانية (٧) قال: «وصفه بتدليس الإسناد النسائي وغيره».

قال الحافظ ابن كثير في «الباعث الحثيث» ص(٤٦) النوع (١٢): «وقد كره هذا القسم من التدليس جماعة من العلماء وذموه، وكان شعبة أشد

الناس إنكارًا لذلك». اهـ.

بهذا تصبح القصة واهية، وخبرها مردودًا بالسقط في الإسناد، سواء بالإرسال الخفي أو التدليس، ثم بالطعن في الراوي، وبيان أن الخبر منكر.

رابعًا: الأئمة الذين قالوا بعدم صحة هذا الخبر الذي جاءت فيه هذه القصة

١- الإمام ابن كثير في تفسيره (٢ / ٣٣٢) الآية (١٩٠) قال: هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري. قال أبو حاتم: لا يحتج به.

الثاني: أنه قد رُوي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعًا.

الثالث: أن الحسن نفسه فسَّر الآية بغير ما في حديثه هذا؛ فلو كان عنده صحيحًا مرفوعًا لما عدل عنه. فقال في تفسيره: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا...﴾: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم». ثم أورد قول الحسن: «عني بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده، يعني: ﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾. اهـ.

ثم أورد عن الحسن قال: «هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهوَّدوا ونصَّروا». اهـ.

وذكر ذلك ابن كثير من طرق عن الحسن، ثم قال: «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده صحيحًا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه». اهـ.

قلت: وبعد أن بيَّن الحافظ ابن كثير علل هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية أورد الآثار حول إشراك آدم وحواء، وتسمية ما آتاهما «عبد الحارث». ثم قال: «وهذه الآثار يظهر عليها أنها من آثار أهل الكتاب».

٢- قال الإمام أبو الحسن علي بن فضالة المجاشعي المتوفى سنة ٤٧٩هـ في «النكت في القرآن» (١ / ٢٦٤): ويسأل: إلى من يرجع الضمير في «جعلا» في قوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ ؟

وفيه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه يرجع إلى النفس وزوجها من ولد آدم، لا إلى آدم وحواء، وهو قول الحسن وقتادة.

والثاني: أنه يرجع إلى «الولد الصالح» بمعنى المعافاة في بدنه؛ فذلك صلاح في خلقه لا في دينه، وثنى لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرًا وأنثى.

والثالث: أنه يرجع إلى آدم وحواء، فإنهما جعلا له شريكًا في التسمية؛ وذلك أنهما أقاما زمانًا لا يولد لهما، فمر بهما الشيطان ولم يعرفاه، فشكوا إليه، فقال لهما: إن أصلحت حالكما حتى ولد لكما، أتسميانه باسمي؟ فقالا: نعم. وما اسمك؟ قال: الحارث، فولد لهما فسمياه «عبد الحارث».

وهذا القول بعيد، ولا يجوز مثل هذا على نبي من أنبياء الله تعالى، والقول الأول أوضح هذه الأقوال.

٣- قال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي في «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٢ / ٣٠٥).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء والقرآن يشهد لأحدهما.

الأول: حواء كانت لا يعيش لها ولد، فحملت فجاءها الشيطان فقال لها: سمي هذا الولد عبد الحارث، فإنه يعيش، والحارث من أسماء الشيطان، فسمته عبد الحارث، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ أي: ولدًا إنسانًا ذكرًا جعلا له شركاء بتسميته عبد الحارث، وقد جاء بنحو هذا حديث مرفوع وهو معلول، كما أوضحه ابن كثير في تفسيره.

الوجه الثاني: أن معنى الآية أنه لما آتى آدم وحواء صالحًا كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء؛ لأنهما أصل لذريتهما كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: بتصويرنا لأبيكم آدم؛ لأنه أصلهم بدليل قوله بعده: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

ويدل لهذا الوجه الأخير أنه تعالى قال بعده: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني آدم، لا آدم وحواء، واختار هذا الوجه غير واحد؛ لدلالة القرآن عليه، وممن ذهب إليه الحسن البصري، واختاره ابن كثير. اهـ.

٤- قلت: واختار هذا الوجه أيضًا الزمخشري المتوفى سنة (٥٢٨هـ) في تفسيره «الكشاف» (٢ / ١٨٧)، قال تعالى: ﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ﴾ أي: جعل أولادهما له شركاء، على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه. وكذلك: «فيما آتاهما» أي: آتى أولادهما، وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، حيث جمع الضمير، وآدم وحواء بريئان من الشرك. اهـ.

٥- وبيَّن هذا الوجه أيضًا القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي في تفسيره «تفسير البيضاوي» المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١ / ٢٦١) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾: أي: جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما فسموه عبد العزى وعبد

قال قوم: إن هذا راجع إلى جنس الآدميين، والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يُعول عليه؛ فقوله تعالى: «جعلا له» يعني الذكر والأنثى الكافرين، ويُعنى به الجنسان، ودلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، ولم يقل يشركان، وهذا قول حسن

مناف على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. اهـ.

٦- وأورد هذه القصة الإمام القرطبي في تفسيره المسمى «الجامع لأحكام القرآن» (٧ / ٢١٥) وضعَّفها؛ حيث قال: «ونحو هذا مذكور من ضعيف الحديث في الترمذي وغيره، وفي الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات، فلا يُعوَّل عليها من له قلب».

ثم بيَّن الوجه الذي رجَّحه الأئمة الذين أوردنا تفسيرهم؛ حيث قال: «وقال قوم: إن هذا راجع إلى جنس الآدميين، والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يُعول عليه؛ فقوله تعالى: «جعلا له» يعني الذكر والأنثى الكافرين، ويُعنى به الجنسان، ودلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، ولم يقل يشركان، وهذا قول حسن». اهـ.

٧- وبيَّن هذا الوجه أيضًا الإمام ابن الجوزي في تفسيره المسمى «زاد المسير في علم التفسير» (٣ / ١٩٢) حيث نقل قول ابن الأنباري: «قال ابن الأنباري: الذين جعلوا له شركاء اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آم وحواء؛ فتأويل الآية: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ ﴾، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]. اهـ.

٨- وبين هذا الوجه الإمام المحدث عبد الرزاق في تفسيره (ح٩٦٩) قال عن معمر: وقال الحسن: «إنما عني بها ذرية آدم من أشرك منهم بعده».

٩- وبيَّن هذا الوجه الفخر الرازي في تفسيره المسمى «التفسير الكبير» (١٥ / ٨٧) بعد أن أورد الآيات قال: «ولا إشكال في شيء من ألفاظها إلا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾، قال: التقدير فلما آتاهما ولدًا صالحًا سويًا جعلا له شركاء، أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذا ﴿ فيما آتاهما ﴾ أي فيما آتى أولادهما، ونظيره قوله: «واسأل القرية» أي: واسأل أهل القرية.

فإن قيل: فعلى هذا التأويل ما الفائدة في التثنية في قوله تعالى: ﴿ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ ﴾، قلنا: لأن ولده قسمان ذكر وأنثى، فقوله: «جعلا» المراد منه الذكر والأنثى، مرة عبَّر عنها بلفظ التثنية؛ لكونهما صنفين ونوعين، ومرة عبر عنها بلفظ الجمع، وهو قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. اهـ.

١٠- وبيَّن ذلك الوجه أبو حيان الأندلسي في تفسيره المسمى «البحر المحيط في التفسير» وأقر ما قاله الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨هـ، بينما أبو حيان الأندلسي توفي سنة (٧٥٤هـ)، قال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾:

«من جعل الآية في آدم وحواء جعل الضمائر والأخبار لهما، وذكروا في ذلك محاورات جرت بين إبليس وآدم وحواء لم تثبت في قرآن ولا حديث صحيح؛ فأطرحت ذكرها.

وقال الزمخشري والضمير في ﴿ آتَيْتَنَا ﴾، و﴿ لَنَكُونَنَّ ﴾ لهما وكل من تناسل من ذريتهما، ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا ﴾ ما طلبا من الولد الصالح السوي: ﴿ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ أي: جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك ﴿ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾، أي: آتى أولادهما، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾؛ حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك». اهـ.

قلت: بهذا البحث تبين أن قصة عبد الحارث بن آدم واهية، ولقد بيّنا الوجه الذي قال عنه الإمام ابن كثير: «هو من أحسن التفاسير وأولى ما حُملت عليه الآية».

وبينا الذين اختاروا هذا الوجه من أئمة المفسرين على سبيل المثال لا الحصر.

هذا ما وفَّقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين.



تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

أركان الإسلام والإيمان

● *يسأل: خيري محمد إبراهيم - أبو الروس - كفر الشيخ:*

هل هناك فرقٌ بين أركان الإسلام وأركان الإيمان؟

الجواب: الدّين ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وقد وضَّحها النبي ﷺ في الحديث المشهور الذي رواه مسلم وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر. لا يُرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد ! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً» قال: صدقت. قال فعجبنا له؛ يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان». قال: ثم انطلق. فلبثت مليًا. ثم قال لي: «يا عمر! أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

[مسلم، كتاب الإيمان، ح١].

التنخيم أثناء الصلاة

● *ويسأل: ماذا يفعل من يريد التنخم أثناء الصلاة، هل يحوِّل وجهه عن القبلة ويتنخم؟*

الجواب: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تبارك وتعالى قِبَل وجهه، فلا يبصقن قِبَل وجهه، ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى -وذلك حين لا يكون المسجد مفروشًا- فإن عجلت به بادرة فليقل بثوبه هكذا. ثم طوى ثوبه بعضه على بعض».[مسلم ٣٨٠٠].

فعلى المصلي إذا أراد أن يتنخم أن يخرج منديله ويتنخم فيه، ولا يلتفت.

قراءة الفاتحة على الأموات

● س: ما حكم قراءة الفاتحة على الأموات، وخاصة بعد صلاة الجنازة، وبعد الانتهاء من دفنها، وما أصح الأقوال في قراءة سورة «يس» والقرآن مجملاً، وما حكم قراءة الفاتحة عند عقد الزواج؟

الجواب: قراءة القرآن قُربة من أعظم القرب، وعبادة من أجلِّ العبادات، يعطي الله تعالى عليها من الأجر والثواب ما لا يعطي على غيرها، وقد بيَّن ﷺ كثرة هذا الأجر بقوله: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ا لم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». [صحيح الترمذي: ٢٩١].

والعبادات توقيفية لا يجوز العمل فيها بغير ما جاء عن النبي ﷺ، ولم يثبت عنه ﷺ قراءة الفاتحة عند عقد النكاح، ولا على الأموات ساعة الاحتضار، ولا بعد صلاة الجنازة، ولا بعد الدفن، كما لم يثبت عنه ﷺ قراءة يس ولا غيرها، ولو كان ذلك خيرًا لأرشدنا إليه ﷺ.

قيام الليل

● س: الرجاء تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

الجواب: فرض الله تعالى على رسوله والمؤمنين في أول البعثة قيام الليل، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾. فقام ﷺ ومن آمن معه حتى تفطرت أقدامهم، وبعد عام نزلت آخر آية في السورة الكريمة، خفف الله عنهم، ونسخ الوجوب، وذكر أسباب التخفيف، فقال: الله يعلم أنه سيكون منكم مرضى لا يستطيعون القيام، ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: مسافرون للتجارة وكسب الرزق، غير مقيمين في بيوتهم، ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فينشغلون بالقتال عن القيام، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾، فصار قيام الليل نافلة بعدما كان واجبًا. والله أعلم.

المسلمون على شروطهم

● *يسأل: سيد عبد المطلب علي - القاهرة: ما حكم من يحصلون من عملهم على بدل انتقال، ثم يستخدمون وسائل المواصلات التي توفرها الشركة؛ مع اشتراط الشركة عدم حدوث ذلك؟ وهل يختلف الحكم بين المسافات القصيرة وغيرها؟ وما الواجب على السائقين والركاب إذا علموا ذلك؟*

الجواب: المال خطره عظيم؛ حلاله حساب، وحرامه عقاب، «ولا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه». [صحيح الترمذي: ٢٤٧١].

وقد نهى الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل، وتوعد على ذلك، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، فعلى كل من يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه أن يتقي الله في نفسه، فلا يطعمها إلا الحلال، وأن يتقي الله في أهله، فلا يطعمهم إلا الحلال.

وإذا كانت الشركة المذكورة توفر المواصلات لبعض عمالها، وتعطي البعض بدل انتقال؛ بشرط ألا يركب مواصلاتها؛ فلا يجوز لمن يأخذ البدل أن يركب مواصلات الشركة، فإن فعل فقد اعتدى، لا فرق في ذلك بين المسافات القصيرة وغيرها، والواجب على السائقين والركاب أن يمنعوا الركاب غير المصرح لهم بالركوب.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد..

فإن جماعة أنصار السنة المحمدية منذ نشأتها الأولى، وعبر تاريخها الطويل، وهي تدعو الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ حيث إن ذلك هو السبيل الوحيد لعودة الأمة إلى قيادتها وريادتها من جديد، ويأتي هذا المقال تأكيدًا لدورها الرائد في دعوة الناس إلى التمسك بالسنة، والدفاع والذبّ عنها، وبيان حجيتها ومنزلتها كمصدر من مصادر التشريع، وأنها وحي كالقرآن، وذلك من خلال نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

الأدلة من القرآن الكريم

أولاً: وجوب الإيمان بالنبي ﷺ واتباعه والرضى بحكمه

١- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ [النور: ٦٢].

قال ابن القيم: فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبًا - إذا كانوا معه - إلا باستئذانه، فأولى أن يكون من لوازمه ألا يذهبوا إلى قول، ولا مذهب علمي، إلا بعد استئذانه، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه. [إعلام الموقعين: ١ / ٥٨].

٢- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة». [تفسير ابن جرير الطبري].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «دعوا السنة تمضي، لا تعرضوا لها بالرأي». [إعلام الموقعين ١ / ٧٨].

وقال ابن القيم رحمه الله: «أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا

حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرًا حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه». [المصدر السابق].

٣- قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

عن عروة بن الزبير: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج من الحرة، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك». فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجهه، ثم قال: اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك»، قال الزبير: فما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه (أغضبه) الأنصاري، وكان قد أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. [البخاري: ٤٥٨٥].

قال الشافعي رحمه الله: وهذا القضاء سنة عن رسول الله ﷺ لا حكم منصوص في القرآن. [الرسالة: ٨٣].

ثانيًا: السنة تبين القرآن وتوضحه

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فصح أن كلام النبي ﷺ كله في الدين وحي من عند الله، لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله؛ فهو ذكْرٌ منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون ألا يضيع منه شيء، وأن لا يحرَّف منه شيء أبدًا. [الإحكام: ١ / ١٠٩].

قال حسان بن عطية: كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك. [جامع بيان العلم]، وأخرجه أبو داود بلفظ: «كان جبريل ينزل على رسول الله بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن». [سنن الدارمي: ١ / ١٤٥].

٢- قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾. وعطف الله تعالى الحكمة على الكتاب، وذلك يقتضي المغايرة، وأنها ليست إياه، ولا يصح أن تكون شيئًا آخر غير السنة، لأن الله تعالى امتن علينا بتعليمها، والمنُّ لا يكون إلا بما هو صواب، وحق مطابق لما عنده فتكون الحكمة واجبة الاتباع كالكتاب، خصوصًا وأن الله قد قرنها به.

وسنة النبي ﷺ مُبينة عن الله معنى ما أراد دليلاً على خاصِّه وعامِّه، ثم قرن الحكمة بكتابه، فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله ﷺ. اهـ. [الرسالة ٧٨].

قال الشافعي رحمه الله: سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ. اهـ. [المصدر السابق].

قال ابن القيم رحمه الله: «والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر الرسول ﷺ عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به، كما أخبر به الرب تبارك وتعالى على لسان رسوله ﷺ، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام، لا ينكره إلا من ليس منهم». اهـ. [الروح: ١٠٥].

ثالثًا: وجوب طاعة النبي ﷺ طاعة مطلقة، وأن طاعته طاعة لله تعالى

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

٢- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله الردّ إلى كتابه، والرد إلى رسوله إن كان حيًا، فإن قبضه الله إليه فالرد إلى السنة». [تفسير الطبري: ٥ / ٥١].

قال الحافظ في الفتح: «فكان التقدير: وأطيعوا الله فيما نص عليكم في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بيَّن لكم من القرآن، وما ينصه عليكم من السنة، أو المعنى: أطيعوا الله فيما أمركم به الوحي المتعبد بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن». اهـ. [فتح الباري: ١٣ / ١١١].

قال الطيبي: «أعاد الفعل في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة، ولم يعده في أولي الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته». اهـ. [فتح الباري ١٣ / ١١١ - ١١٢].

رابعًا: وجوب اتباع النبي ﷺ، وأن اتباعه لازم محبته

دلت آيات القرآن الكريم على وجوب اتباع النبي ﷺ في جميع ما يصدر عنه، والتأسي به في ذلك، وعلى أن اتباعه لازم لمحبة الله تعالى:

– قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾

خامسًا: السنة وحي كالقرآن

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣- ٤].

قال ابن القيم رحمه الله: «ولم يقل: وما ينطق بالهوى؛ لأن نفي نطقه عن الهوى أبلغ؛ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوًى، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به، فتضمن نفي الأمرين: نفي الهوى عن مصدر النطق، ونفيه عن نفسه، فنطقه بالحق، ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال». اهـ. [بدائع التفسير: ٤ / ٢٧٦].

الأدلة من السنة النبوية

كذلك ورد في السنة من الأدلة ما يدل دلالة قاطعة على حجية السنة الشريفة، فمنها:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، كتب عليكم الحج». قال: فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله ؟ فقال: «لو قلت بها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع». [أحمد، وصححه أحمد شاكر: ١ / ٢٥٥، وصححه الألباني].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». [البخاري: ٨٨٧].

٣- عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد». [رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله». [البخاري: ٣٧ / ٧].

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». [البخاري: ٧٢٨٠].

٦- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه مرفوعًا: «... وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ». [الترمذي: ٢٦٧٦، وصححه الألباني].

٧- وقال رسول الله ﷺ: « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ». [رواه مالك في الموطأ ٣٣٣٨، وصححه الألباني].

فعلق ﷺ العصمة من الضلال على التمسك بالقرآن و السنة معًا، وما عُلِّق على شرطين لا يتم بأحدهما،فمن ثَمَّ يجب القطع بضلال من جحد حجية السنة، وادَّعى الاقتصار على القرآن الكريم، كما هو شعار المبتدعة في كل عصر ومصر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم». [مسلم: ٢ / ١٢٤].

وقال أيوب السختياني: «إذا حدثت الرجل بسنة، فقال: دعنا من هذا، وأنبئنا عن القرآن، فاعلم أنه ضال». [حجية السنة ص٣٣٢].

إن فصل السنة عن القرآن يفتح المجال للمبتدعة كي يفسدوا معاني القرآن الكريم ما شاءوا أن يفسدوا، دون أن يجابهوا بما يبينها من السنة الشريفة، وما أكثر النصوص القرآنية العامة، أو المطلقة، التي يستدل بها المبتدعون إذا فُهمت بمعزل عن السنة التي تفسرِّها، وتبينها بيانًا يتعين المصير إليه.

٩- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نضَّر الله امرأً سمع منا حديثًا، فحفظه، حتى يبلغه، فرُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه». [أبو داود ٣٦٦٠، وصححه الألباني].

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قول النبي ﷺ لوفد عبد القيس، بعد أن أمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع:« فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم». [البيهقي في الكبرى ١٢٥٠٠، وأصل الحديث متفق عليه].

وقد توعد رسول الله ﷺ من يتعمد الكذب عليه بأن يتبوأ مقعده من النار، وحذر من ذلك أشد

التحذير، وما ذاك إلا لأنه – أي الكذب عليه – مستلزم لتبديل الأحكام الشرعية، واعتقاد الحرام حلالاً، والحلال حرامًا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم، ولا يفتنونكم». [مسلم: ١ / ٩٥].

أقوال سلف الأمة

قال عمر رضي الله عنه: «سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله». [الدارمي: ١ / ٤٩].

ولما أرسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج، قال له: «اذهب إليهم فخاصمهم، ولا تحاجهم بالقرآن، فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة». [حجية السنة: ٣٢٩].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما: أنهم كانوا يتذاكرون الحديث، فقال رجل: دعونا من هذا وجيئونا بكتاب الله، فقال عمران: إنك أحمق؛ أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة؟ أتجد في كتاب الله الصيام مفسرًا؟ إن القرآن أحكم ذلك، والسنة تفسره». [جامع بيان العلم: ٢ / ١١٩٢].

وأخرج مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد: أنه سأل عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر؟ فقال ابن عمر: يا ابن أخي، إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً ﷺ، ولا نعلم شيئًا، فإنما نفعل كما رأيناه يفعل. [الموطا: ص١٠٩].

وأخرج البيهقي في «المدخل» من طريق شبيب ابن أبي فضالة المكي، أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: «يا أبا نجيد، إنكم تحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران، وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعًا، ووجدت المغرب ثلاثًا، والغداة ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم ذلك؟! ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟ أوجدتم فيه: في كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بعير كذا، وفي كل كذا درهم كذا؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم ذلك؟! ألستم عنا أخذتموه؟ وأخذناه عن النبي ﷺ؟! قال في القرآن: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، أوجدتم فيه: فطوفوا سبعًا، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم في القرآن: لا جلب ولا جنب، ولا شغار في الإسلام؟! أما سمعتم الله قال في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، قال عمران: فقد أخذنا عنه أشياء ليس لكم بها علم». [حجية السنة: ص٣٣٠، ٣٣١].

وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أن امرأة جاءت إليه، فقالت له: أنت الذي تقول: «لعن الله النامصات والمتنمصات والواشمات...» الحديث؟ قال: نعم، قالت: فإني قرأت كتاب الله من أوله إلى آخره، فلم أجد ما تقول، فقال لها: إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟! قالت: بلى، قال: فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لعن الله النامصات...» [البخاري: ٤٨٨٦].

قال ابن حزم – رحمه الله – في المحلى (٢ / ٢٢٠): «في أي قرآن وُجد أن الظهر أربع، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا، والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة فيها والسلام، وبيان ما يجتنب في الصوم، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة، والغنم، والإبل، والبقر، ومقدار الأعداد المأخوذة منها الزكاة، ومقدار الزكاة المأخوذة، وبيان أعمال الحج؛ من الوقوف بعرفة، وصفة الصلاة بها، وبمزدلفة، ورمي الجمار، وصفة الإحرام، وما يجتنب فيه، وقطع السارق، وصفة الرضاع المحرم، وما يحرم من المآكل، وأحكام الذبائح والضحايا، وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، وبيان الربا، والأقضية، والتداعي، والأيمان، والأحباس، والعمرى، والصدقات، وسائر أنواع الفقه؟

وإنما في القرآن جُمَل لو تركنا وإياها لم ندر كيف نعمل بها، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقل عن النبي ﷺ، وكذلك الإجماع إنما هو في مسائل يسيرة، فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة، ولو أن امرأ قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافرًا بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حد للأكثر من ذلك، وقائل هذا كافر مشرك، حلال الدم والمال». اهـ. [المحلى (٢ / ٢٢٠)].

والحمد لله رب العالمين.

بر الوالدين



الحمدُ لله، حمدًا طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه اللهُ هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد: فإن لبر الوالدين فضائل كثيرة، أحببت أن أُذكِّر بها نفسي وإخواني الكرام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

عظم حق الوالدين

قال ابنُ الجوزي: غير خافٍ على عاقلٍ حقُّ المُنْعم، ولا مُنْعم بعد الحق تعالى على العبد كالوالدين، فقد تحملت الأم بحمله أثقالاً كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة، وبالغت في تربيته، وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها، وقدمته على نفسها في كل حال. وقد ضم الأب إلى التسبب في إيجاده محبته بعد وجوده، وشفقته، وتربيته بالكسب له والإنفاق عليه.

والعاقل يعرف حق المُحسِن، ويجتهد في مكافأته، وجهل الإنسان بحقوق المنعم من أخس صفاته، لاسيما إذا أضاف إلى جحد الحق المقابلة بسوء المنقلب. وليعلم البارّ بالوالدين أنه مهما بالغ في برهما لم يفِ بشكرهما. [كتاب البر والصلة لابن الجوزي ص٣٩].

اقتران توحيد الله بالإحسان إلى الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

في هذه الآية يأمر الله تعالى بعبادته وحده؛ فإنه هو الخالق، الرازق المنعم المتفضل على جميع خلقه، ثم قرن الدعوة إلى توحيده ببر الوالدين والإحسان إليهما، وكثيرًا ما يقرن الله بينهما كقوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الله تعالى يحث الأبناء على بر الآباء

قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٣: ٢٥].

رضا الوالدين الصالحين من رضا الله تعالى

يجب أن نعلم أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين رضا الله ورضا الوالدين الصالحين، ولذا يجب على الأبناء أن يحرصوا على رضا الوالدين وطاعتهم؛ لينالوا رضوان الله عليهم في الدنيا والآخرة، ولقد أرشدنا إلى هذه المسألة المهمة نبينا محمد ﷺ في كثير من أحاديثه الشريفة.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ». [حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني، حديث ١٥٤٩].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِي امْرَأَةً، وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا. قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ»؛ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ. [حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني، حديث ١٥٤٨].

دعوة الوالدين الصالحين مستجابة

إن من إكرام الله تعالى للوالدين الصالحين، استجابة دعائهما لأبنائهما أو على أبنائهما؛ وخاصة إذا بلغا من الكبر عتيًا، وهذا أمر متحقق وواقع أمام أعيننا في حياتنا الدنيا. ولقد نبَّهنا إلى ذلك صاحبُ الشفاعة العظمى، نبينا محمدٌ ﷺ:

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ

قال: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده» [حديث صحيح، صحيح الأدب المفرد للألباني، حديث ٤٨٨].

يقول الحسن البصري: دعاء الوالدين يُثَبِّتُ المالَ والولدَ، ودعوة الوالدين على الولد يستأصل المال والولد. [البر والصلة لابن الجوزي صـ١٢٠].

وقفة تأمل صادقة مع النفس

تدبَّر يا عبد الله، وقِفْ مع نفسك لحظات تتأمل فيها كيف يكون حالك عندما تقصِّر في بعض حقوق والديك، وتضيق بهما كل السبل، فيقوم أحدهما أو كلاهما في ثلث الليل الآخر؛ فيصلي لله تعالى ركعتين، خاليًا في جوف الليل، وقد انهمرت دموعه على خديه، رافعًا يديه إلى السماء متذللاً، ومتوسلاً إلى خالقه ومولاه، أن ينتقم له منك؛ لأنك قد أسأت معاملته، وكم من دعوة للوالدين الصالحين كانت سببًا في سعادة أبنائهما أو شقائهما في الدنيا والآخرة!!

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». [البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨].

بر الوالدين مقدم على نوافل العبادات

يجب على كل مسلم أن يعلم أنه إذا تعارض بر الوالدين مع تطوع من صلاة، أو صدقة، أو حج أو عمرة، أو جهاد في سبيل الله أو غير ذلك من أنواع التطوع؛ فإنه يجب تقديم بر الوالدين على كل ذلك لما يلي:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». [البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رضي الله عنهما- قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاهُمَا. قَالَ: فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا». [مسلم ٦٦٧١].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ». [البخاري ٣٠٠٤، ومسلم ٢٥٤٩].

قَالَ ابنُ حجر العسقلاني تعليقًا على هذا الحديث: يَحْرُمُ الْجِهَادُ إِذَا مَنَعَ الأَبَوَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَا مُسْلِمَيْنِ؛ لأَنَّ بِرَّهُمَا فَرْضُ عَيْنٍ عَلَيْهِ، وَالْجِهَادُ فَرْضُ كِفَايَةٍ، فَإِذَا تَعَيَّنَ الْجِهَادُ فَلا إِذْنَ. [فتح الباري (٦ / ١٦٣)].

بر الأم مقدم على بر الأب

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

وقال جل شأنه: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥].

قَالَ ابنُ كثير: إنما يذكر تعالى تربية الوالدة، وتعبها ومشقتها في سهرها ليلاً ونهارًا، ليُذكِّر الولدَ بإحسانها المتقدم إليه. [تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١ / ٥٣)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ». [البخاري ٥٩٧١، ومسلم ٢٥٤٨].

قَالَ ابنُ بطال: مُقْتَضَاهُ أَنْ يَكُون لِلأُمِّ ثَلاثَةُ أَمْثَال مَا لِلأَبِ مِنَ الْبِرّ، قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ لِصُعُوبَةِ الْحَمْل ثُمَّ الْوَضْع ثُمَّ الرَّضَاع، فَهَذِهِ تَنْفَرِد بِهَا الأُمّ وَتَشْقَى بِهَا، ثُمَّ تُشَارِك الأَب فِي التَّرْبِيَة. [فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٠ / ٤١٦)].

وقال القاضي عياض: ذَهَبَ الْجُمْهُور إِلَى أَنَّ الأُمّ تَفْضُل فِي الْبِرّ عَلَى الأَب. [فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٠ / ٤١٦)].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ، وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ. فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَالْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا». [حديث حسن صحيح، صحيح النسائي للألباني ٢٩٠٨].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ». [حديث صحيح، مسند أحمد جـ٤٢ حديث ٢٥١٨٢].

وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أنه شهد عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، ورجل يماني يطوف بالبيت، وحمل أمه وراء ظهره يقول:

إني لهـا بعيـرها المُـذَلَّلُ
إن أُذْعِـرَتْ ركـابـهـا لـم أذعـر

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها ؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة. [صحيح الأدب المفرد للألباني حديث ٩].

الإحسان إلى الوالدين الكافرين

إن شريعتنا الغراء لا تهمل الإحسان إلى الوالدين، ولو كانا كافرين، فضلاً عن الوالدين العاصيين. ولقد حثنا القرآن العظيم بأسلوب رائع بليغ على بر الوالدين، وإن كانا مشركين، عسى أن

تكون هذه المعاملة الطيبة سببًا في هدايتهما.

قال الله عزَّ وجَلَّ في كتابه العزيز: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:١٥].

قال ابن كثير: إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعنك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا، أي: محسنًا إليهما. [تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١ / ٥٤)].

قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ». [البخاري ٢٦٢٠، ومسلم ١٠٠٣].

قال ابن حجر العسقلاني: وهي رَاغِبَة، أي طَالِبَة فِي بِرّ ابْنَتهَا لَهَا، خَائِفَة مِنْ رَدّهَا إِيَّاهَا خَائِبَة. [فتح الباري لابن حجر (٥ / ٢٧٧)].

كيف نعامل الوالدين عند الكبر؟

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. (الإسراء: ٢٣: ٢٤)

قال الإمام القرطبي: خص الله تعالى حالة الكبر؛ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره؛ لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاًّ عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر. [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠ / ٢٤٦)].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: قال مجاهد: إذا رأيت منهما في حال الشيخوخة، الغائط والبول، الذي رأياه منك في الصغر فلا تقذرهما وتقول أف. [جامع البيان لابن جرير الطبري (١٥ / ٦٤)].

فائدة جليلة

قال الإمام القرطبي: قال علماؤنا: وإنما صارت قولة «أف» للأبوين أردأ شيء؛ لأنه رفضهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية، ورد الوصية التي أوصاه في التنزيل. و«أف» كلمة مقولة لكل شيء مرفوض، ولذلك قال إبراهيم لقومه: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي رفض لكم، ولهذه الأصنام معكم. [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠ / ٢٤٨)].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي لينًا لطيفًا، أحسن ما تجد بأدب وتوقير وتعظيم مثل: يا أبتاه ويا أماه.

قال سعيد بن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظّ الغليظ. [جامع البيان لابن جرير الطبري (١٥ / ٦٥)].

قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال ابن جرير الطبري: كن لهما ذليلاً، رحمة منك بهما، تطيعهما فيما أمراك به، مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبَّا. [جامع البيان لابن جرير الطبري (١٥ / ٦٦)].

كيف نبرُّ الوالدين بعد موتهم؟

الإحسان إلى الوالدين لا يكون في حياتهما فقط، بل يمتد الإحسان إليهما بعد موتهما أيضًا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». [مسلم ١٦٣١].

قال الإمام النووي: إِنَّ عَمَل الْمَيِّت يَنْقَطِع بِمَوْتِهِ، وَيَنْقَطِع تَجَدُّد الْجَوَاب لَهُ، إِلاَّ فِي هَذِهِ الأَشْيَاء الثَّلاثَة؛ لِكَوْنِهِ كَانَ سَبَبهَا؛ فَإِنَّ الْوَلَد مِنْ كَسْبه، وَكَذَلِكَ الْعِلْم الَّذِي خَلَّفَهُ مِنْ تَعْلِيم أَوْ تَصْنِيف، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَة الْجَارِيَة، وَهِيَ الْوَقْف. [مسلم بشرح النووي (٦ / ٩٥)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ؛ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ». [حديث حسن، صحيح ابن ماجه للألباني ٢٩٥٣].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ». [مسلم ٦٦٧٩].

تطبيق عملي

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ؛ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلانِ بْنِ فُلانٍ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، وَقَالَ ارْكَبْ هَذَا، وَالْعِمَامَةَ قَالَ اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ. فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ». [مسلم ٦٦٧٩].

والله الموفق، وهو من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

والبقية في الحلقة القادمة بمشيئة الله تعالى.



الحلقة الثانية

سنة اتخاذ مساجد في البيوت

إعداد/ أيمن دياب

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد:

فيا أيها القارئ الكريم تكلمنا في العدد الماضي عن سنة اتخاذ المساجد في البيوت، تلك السنة المهجورة، وتناولنا بعض الأحكام المتعلقة بمساجد البيوت من حيث مشروعيتها، وهيئتها، وفضلها، وحكمها، وفي هذا العدد نستكمل سويًا بقية الأحكام.

سادسًا: الأحكام المتعلقة بمساجد البيوت

(١) هل لها تحية مسجد: عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ قَالَ: فَجَلَسْتُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسَ؟

قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُكَ جَالِسًا وَالنَّاسُ جُلُوسٌ.

قَالَ: فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلا يَجْلِسْ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ» [متفق عليه].

وَهَلْ يَتَنَاوَلُ مَسَاجِدَ الْبُيُوتِ أَوْ قَاصِرٌ عَلَى الْمَسَاجِدِ الْعَامَّةِ؟

قال صاحب «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» (١ / ٥١١): «الْمُتَبَادَرُ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْعُمُومُ؛ لِتَسْمِيَةِ الْجَمِيعِ مَسَاجِدَ».

قلت: بَيْدَ أن مساجد البيوت ليس لها حكم المساجد العامة التي فرض الله أن تُرفع، وشرع لها أحكامًا خاصة، فالراجح أنها بمنأى عن الأحاديث الآمرة بتحية المسجد؛ لأنها لا يطلق عليها اسم المسجد عرفًا؛ حيث يجوز بيعها. وهذا ما ذهب إليه الجمهور، ورجحه الإمام ابن حزم-رحمه الله. [المحلى (٥ / ١٩٦)].

(٢) الصلاة فيها عند الدخول والخروج من البيت: يُندب للمسلم أن يصلي ركعتين قبل الخروج من البيت، وركعتين عند دخوله، ولا بأس أن يجعلهما في مسجد بيته. [انظر: الإقناع (١ / ١١٨)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «إذا خرجت من منزلك إلى الصلاة؛ فصلِّ ركعتين تمنعانك مخرج السوء، وإذا دخلت منزلك فصلِّ ركعتين تمنعانك مدخل السوء». [صحيح الجامع ح ٥٠٥].

وعن امرأة عبد الله بن رواحة-رضي الله عنها- «أن عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه- كان له مسجدان: مسجد في بيته، ومسجد في داره، إذا أراد أن يخرج صلى في المسجد الذي في بيته، وإذا دخل صلى في المسجد الذي في داره، وكان حيثما أدركته الصلاة أناخ» [مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٧١٨)].

(٣) صلاة الرواتب والسنن والتطوع فيها: يستحب للمسلم أن يصلي السنة الراتبة قبل وبعد الصلوات المفروضة في مسجد البيت، وكذا سنة الجمعة البعدية، وصلاة الاستخارة، وسنة الوضوء، والضحى، والتوبة، والتسابيح، وقيام الليل، والتراويح، والوتر قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-:«كَانَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِعْلَ السُّنَنِ وَالتَّطَوُّعَ فِي الْبَيْتِ؛ إِلَّا لِعَارِضٍ، كَمَا أَنَّ هَدْيَهُ كَانَ فِعْلَ الْفَرَائِضِ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا لِعَارِضٍ مِنْ سَفَرٍ

أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ» [زاد المعاد (١ / ٢٩٨)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وعَنْ تَطَوُّعِهِ فَقَالَتْ: «كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ الْوِتْرُ، وَكَانَ يُصَلِّي لَيْلاً طَوِيلاً قَائِمًا، وَلَيْلاً طَوِيلاً قَاعِدًا، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ» [مسلم (٧٣٠)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ -رضي الله عنه- قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّمَا أَفْضَلُ الصَّلاَةُ فِي بَيْتِي أَوْ الصَّلاَةُ فِي الْمَسْجِدِ؟ قَالَ: «أَلا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَلاَةً مَكْتُوبَةً» [صحيح سنن ابن ماجه ح ١٣٧٨].

(٤) صلاة الرواتب الفائتة فيها: عَنْ بُكَيْرٍ عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَزْهَرَ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ رضي الله عنهم أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ-رضي الله عنها- زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: «اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنَّا جَمِيعًا وَسَلْهَا عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَقُلْ: إِنَّا أُخْبِرْنَا أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهُمَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- وَكُنْتُ أَضْرِبُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه- النَّاسَ عَلَيْهَا. قَالَ كُرَيْبٌ-رحمه الله- فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا وَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي بِهِ فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا فَرَدُّونِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَى عَائِشَةَ.

فَقَالَتْ: أُمُّ سَلَمَةَ-رضي الله عنها- سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْهُمَا ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا.

أَمَّا حِينَ صَلاَّهُمَا فَإِنَّهُ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَصَلاَّهُمَا، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ فَقُولِي لَهُ: تَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا؟ فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ.

قَالَ: فَفَعَلَتْ الْجَارِيَةُ فَأَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ إِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ بِالإِسْلاَمِ مِنْ قَوْمِهِمْ فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ» [متفق عليه واللفظ لمسلم].

(٥) صلاة النوافل جماعة بالأهل فيها: يشرع للمسلم أن يصلي في مسجد بيته النوافل جماعة دون أن يتخذ ذلك عادة لا تتخلف، بل إن ذلك يستحب، وفي ذلك فوائد تربوية وتعليمية لا تخفى!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:

«والاجتماع على صلاة النفل أحيانًا مما تُستحب فيه الجماعة إذا لم يُتخذ راتبة، وكذا إذا كان لمصلحة، مثل ألا يحسن أن يصلي وحده، أو لا ينشط وحده، فالجماعة أفضل إذا لم تُتخذ راتبة، وفعلها في البيت أفضل إلا لمصلحة راجحة» [مختصر الفتاوى المصرية (٨١)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: «صَلَّيْتُ أَنَا وَيَتِيمٌ فِي بَيْتِنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ وَأُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ خَلْفَنَا» [أخرجه البخاري ح(٧٢٧)].

وقال الإمام البخاري-رحمه الله-: «بَابُ الْمَسَاجِدِ فِي الْبُيُوتِ وَصَلَّى الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه فِي مَسْجِدِهِ فِي دَارِهِ جَمَاعَةً».

وقَالَ-رحمه الله-:«بَابُ صَلاَةِ النَّوَافِلِ جَمَاعَةً، ذَكَرَهُ أَنَسٌ وَعَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ».

(٦) ذكر الله فيها: من أعظم مقاصد تشييد المساجد في البيوت عمارتها بذكر الله تعالى من التهليل، والتسبيح والتحميد، والتكبير والاستغفار والحوقلة، وهكذا كان السلف يكثرون من ذكر الله في مساجد البيوت!

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- عَنْ جُوَيْرِيَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا» قَالَتْ: «نَعَمْ» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» [مسلم (٢٧٢٦)].

(٧) جواز الأكل فيها: لا بأس بالأكل في مسجد البيت، وفي غيره من المساجد؛ إذ الأصل الإباحة، ولم يأت عن صاحب الشريعة ما يمنع من ذلك، بل كان أهل الصفة يسكنون مسجده ﷺ ويأكلون فيه ويشربون.

(٨) جلوس الحائض والجنب فيها: إن لُبُث أو جلوس الحائض في مسجد الجماعة، اختلف فيه الفقهاء فمنع منه الجمهور، وأجازه الإمام ابن حزم -رحمه الله- بأدلة قوية.

أما مسجد البيت، فمنعَ الحائضَ من دخوله بعضُ الأئمة، فروى عبد الرزاق في مصنفه، عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: الحائض تمر في المسجد؟

قال: لا.

قلت: أتدخل مسجدها في البيت؟

قال: لا، لتعتزله.

قلت، دخلت فترشه بالماء؟

قال: لا. [مصنف عبد الرزاق (١٦٢٨).].

قلت: والحق الصراح أن المرأة يجوز لها أن تدخل مسجد بيتها في إبَّان حيضتها، ذلك أن مسجد البيت ليس له أحكام المساجد العامة، كما أوضحناه آنفًا.

قال صاحب الروض المربع (١ / ٢٤٢): «مسجد بيتها: هو الموضع الذي تتخذه لصلاتها في بيتها.. ليس بمسجد حقيقة ولا حكمًا؛ لجواز لبثها فيه حائضًا وجنبًا. [انظر المبسوط (٣ / ١١٩) بواسطة مساجد البيوت (صـ٧٥).].

(٩) جواز النوم فيها: عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-:«أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ وَهُوَ شَابٌّ أَعْزَبُ لَا أَهْلَ لَهُ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ». [البخاري (٤٤٠).].

(١٠) جواز اللعب فيها: يجوز اللعب المباح في مسجد البيت، ودليل ذلك لعب الحبشة في مسجد النبي ﷺ، فعَنْ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ؛ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ» [متفق عليه].

(١١) جواز الضحك والكلام فيها: لا حرج على المسلم أن يتكلم في كل المساجد بالمباح من القول من أمور الحياة الدنيا، بل لا حرج عليه أن يضحك مما يقال!

فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ -رضي الله عنه- أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟

قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، «كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فيه الصُّبْحَ أَوْ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ» [مسلم (٦٧٠).].

(١٢) دخول من أكل ثومًا أو بصلاً فيها: يجوز لمن أكل ثومًا أو بصلاً أن يدخل مسجد البيت؛ ذلك أن مسجد البيت ليس له أحكام المساجد العامة كما بيّنا آنفًا.

(١٣) الاعتكاف فيها: قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧]، قال جمهور أهل العلم: إن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد العامة.

يؤكد ذلك قول الإمام ابن حزم-رحمه الله-: «لا يجوز للمرأة ولا للرجل أن يعتكفا أو أحدهما في مسجد داره، برهان ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

فإن قيل: قد صح عن رسول الله ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا». قلنا: نعم بمعنى أنه تجوز الصلاة فيه، وإلا فقد جاء النص والإجماع بأن البول والغائط جائز فيما عدا المسجد، فصح أنه ليس لما عدا المسجد حكم المسجد... فصح أن لا اعتكاف إلا في مسجد» [المحلى (٥ / ١٩٣).].

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:«وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْ الْآيَةِ أَنَّهُ لَوْ صَحَّ فِي غَيْرِ الْمَسْجِدِ لَمْ يَخْتَصَّ تَحْرِيمُ الْمُبَاشَرَةِ بِهِ؛ لِأَنَّ الْجِمَاعَ مُنَافٍ لِلِاعْتِكَافِ بِالْإِجْمَاعِ، فَعُلِمَ مِنْ ذِكْرِ الْمَسَاجِدِ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الِاعْتِكَافَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِيهَا» [فتح الباري (٦ / ٣١١).].

قلت: وما ذهب إليه الجمهور هو الراجح أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، كيف وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن أبغض الأمور إلي الله البدع، وإن من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور» [صححه الألباني في «قيام الليل» صـ٢٧].

(١٤) جواز بيعها: ذكرنا من قبلُ أن مساجد البيوت ليس لها أحكام المساجد العامة، كما أن صلاة السنن والنوافل في مسجد البيت لا تصيِّره وقفًا لله يحرم بيعه، ومن ثَمَّ فيجوز للمسلم بيع منزله بما يشتمل عليه من غرفة قد اتخذها مسجدًا [انظر المبسوط (٣ / ١١٩). بواسطة مساجد البيوت (صـ٨٤، ٨٥).].

قال الإمام الطحاوي-رحمه الله-:

«التي يتخذها الناس في بيوتهم ليصلوا فيها لا ليدخلوا إليها أحدًا من الناس؛ فأملاكهم غير مرتفعة عنها عند جميع أهل العلم ولا يكون وقوع اسم المساجد عليها مما يرفع أملاكهم عنها، ولا مما يبيح لغيرهم الدخول إليها، ولا مما يمنع أن تكون موروثة عنهم إذا توفوا» [مشكل الآثار ٦ / ٢٩٨].

(١٥) أحوال السلف الصالح رضي الله عنهم فيها:

قالت معاذة العدوية: «ما كان صلة يجيء من مسجد بيته إلي فراشه إلا حبوًا، يقوم حتى يفتر في الصلاة» [حلية الأولياء: (٦ / ١٣٠).].

وقال ابن شوذب: «كان مسلم بن يسار إذا دخل في صلاته في مسجد بيته قال لأهله: تحدثوا فإني لست أسمع حديثكم» [مختصر تاريخ دمشق: (١ / ٢٢٩٩).].

هذا آخر ما وفق الله -تعالى- إليه، في إحياء هذه السنة المهجورة. والله الموفق، وهو من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.



سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٧ سنة من المجلة.

- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي .. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.



مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
مجلة التوحيد .. صرح علمي لا يستغني عنها مسلم .
سارع باقتناء مجموعة مجلدات مجلة التوحيد .
38 عامًا من شروح العقيدة والشريعة بـ ٧٠٠ جنيه فقط
تحتوي على علوم الفقه والتفسير والسيرة والفتاوى وغيرها .
المجلدات لأي مكان خارج مصر تباع بـ ٢٥٠ دولارًا شاملة سعر الشحن .
المجلد الجديد لعام ١٤٣٠ هـ يباع بـ ٢٥ جنيهًا فقط .